

أبناء الفرس المسلمون في اليمن  
نموذج دراسي لسمّة الاستيعاب الأقوامي  
في الحضارة العربية \_ الإسلامية

تاريخ تسلم البحث: ٢٣/١١/٢٠٠٥م تاريخ قبوله للنشر: ٠٤/١٢/٢٠٠٦م

عصام سخيني\*

مُلخَص

يُستخدم مصطلح الأبناء في التاريخ العربي الإسلامي للدلالة على نسل الفرس الذين غزوا اليمن في القرن السادس الميلادي، ثم ما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام في زمن النبي (ﷺ). ويهدف البحث الحالي إلى تقديم هؤلاء كنموذج لظاهرة ثقافية/ اجتماعية ملحوظة في التاريخ الإسلامي، يندمج فيها أفراد وجماعات من أصول أقوامية (إثنية) مختلفة في نسيج المجتمع العربي الإسلامي، مكتسبين بذلك معتقداته، وعاداته الأساسية، وتوجهاته، ونمط الحياة فيه.

ويلقي البحث، كذلك، الضوء على عدد من الشخصيات التي برزت من بين الأبناء، وكان لها دور فاعل في الثقافة العربية الإسلامية. وقد كان من بين، هؤلاء، فقهاء، ومؤرخون، وقضاة، ورواة حديث.

Abstract

Al-Abna', literally the sons, is a term used to indicate the descendants of the Persians who invaded Yemen in the sixth century AD and embraced Islam in the age of the Prophet. The present research work is intended to render them as an example of a remarkable socio-cultural phenomenon in the Islamic history wherein individuals and groups of differing ethnic heritage were assimilated into the embracing Arab-Islamic society, acquiring thus its beliefs, basic habits, attitudes and mode of life.

The research also sheds light on several prominent figures from Al-Abna' who played remarkable roles in the Arab-Islamic culture. Many of these were jurisprudents, historians, judges and transmitters (rowat, sing. rawi) of the Prophet's Sayings.

\* أستاذ مشارك، جامعة البترا الخاصة، عمان.

## المقدمة :

لو أريد أفراد سمة واحدة من سمات الحضارة العربية – الإسلامية وعدها هي الأكثر دلالة عليها لجاز القول بأنها القدرة على الاستيعاب والتمثل. فقد فاقت هذه الحضارة ما سواها في تمثل معطيات الحضارات العظيمة السابقة عليها، وإلى حد بعيد تلك التي عاصرتها، ودمجها في نسيجها حتى ليتمكن الزعم بأن الحضارة العربية- الإسلامية كانت في صورة ما بنيت مركبة من عنصر الإسلام بالتأكيد، وهو الذي انطلقت منه أول ما انطلقت، ومن عناصر مشتقة من الحضارات الإغريقية/ الهلنستية، والفارسية، والهندية، والبيزنطية. فالفلسفة الإسلامية لا تفهم بمعزل عن أرسطو وأفلاطون وأفلوطين؛ ولا يمكن أن تدرس الرياضيات العربية إن تمّ تجاهل إقليدس وفيثاغورس وعلم الحساب الهندي؛ والطب العربي، إن كان قائماً على منهج الملاحظة الحسية والتجربة، فهو –أيضاً- استوعب ما كان قد توصل إليه أبقرات وجالين (جالينوس) اليونانيان وما أنجز من أعمال على أيدي الأطباء العلماء النساطرة، والفرس، والهندوس الذين اشتهروا في "مدرسة" جنديسابور الطبية في بلاد فارس؛ وليس هناك من سبيل لوصف فنّ العمارة، كما كان في القرون الإسلامية الأولى- في الشام أكثر ما يكون- دون الالتفات إلى فن العمارة البيزنطي؛ وليس بالمستطاع فصل النظم الإدارية والمالية كما نشأت في التاريخ الإسلامي عن جذور نجد بعضها يمتد إلى ما كان سائداً من نظم لدى الفرس والبيزنطيين...، وهكذا. وليس ذلك عيباً في الحضارة العربية – الإسلامية وإنما هو من دلائل عبقريتها التي تفردت بها في هذا الشأن. فهي – بنقّة بنفسيها منقطعة النظير – استفادت من أفضل ما كان الإنسان قد أنجزه عبر العصور، وبغض النظر عن انتماءاته العرقية، أو اللغوية، أو الجغرافية، أو الدينية، فهضمته وتمثلته، وأنتجت ما هو أفضل منه، وأكثر تقدماً.

كذلك نجد هذه السمة، سمة الاستيعاب، جليلة وملموسة في احتضان الحضارة العربية – الإسلامية لمبدعين في مختلف مجالات العلم، والأدب، والفكر، والفن، ممن كانوا ينتمون إلى أجناس مختلفة الأصول الإثنية، ودمجهم في عملية البناء الحضاري. فإذا كان العرب، بصفتهم حملة رسالة الإسلام الأول، وهي التي كانت

الأساس الذي شيدت عليه هذه الحضارة، فهم من أعطى إشارة البدء للنهوض بعملية البناء هذه، فإن سرعة انتشار الإسلام خارج مهده الأول في شبه جزيرة العرب واعتناقه من جانب أقوام عديدة غير عربية فتحا الأبواب واسعة أمام تلك الأقوام لتصبح جزءاً من نسيج الحضارة العربية – الإسلامية، وليشارك أبناؤها في عملية البناء الحضاري على كل صعيد.

والنموذج المعالج في البحث الحالي يراد به أن يكون دراسة تطبيقية لسمة الاستيعاب الإثني هذه في بنية الحضارة العربية – الإسلامية، فهي تدور حول نسل الفرس الذين استتجد بهم الأمير اليمني سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن من حكم الأحباش في الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي، ثم ما لبثوا أن استعربوا، لغة وثقافة، واعتنقوا الإسلام في عصر الرسول (ﷺ)، ليمنحهم هذا الوضع فرصة متكافئة مع غيرهم من المكونات الأجنبية المختلفة للمجتمع الإسلامي، أتاحت لهم أن يكونوا جزءاً من نسيجه الثقافي والاجتماعي.

ويعرف هؤلاء بالأبناء، والنسبة إلى الأبناء أبناوي، وفي التعريف "هو كل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس بعربي"<sup>(١)</sup>. كذلك وردت صيغة "بنوي" في بعض حالات النسبة إلى الأبناء<sup>(٢)</sup>. ونميز الأبناء بهذا التعريف الذي ورد عن مجموعة أخرى من الناس عرفت في التاريخ الإسلامي بالأبناء، أيضاً، وهم نسل من نهضوا في خراسان بالثورة العباسية التي أطاحت بالخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. وتختلف هذه المجموعة من الناس عن الأولى، التي نحن معنيون بها هنا، بأنها كانت تضم عناصر عربية وغير عربية.

### التكوين التاريخي :

دخلت اليمن، منذ العام ٥٢٥م، مرحلة جديدة من تاريخها عندما قام الأحباش بغزوها واحتلالها. وتعلل المصادر العربية القديمة<sup>(٣)</sup> سبب هذه الحادثة بأن الملك اليمني ذا نواس، وكان قد اعتنق اليهودية، ارتكب مذبة بحق نصارى اليمن في الحادثة التي جاء ذكرها في سورة البروج في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>. فكان أن استتجد بعضهم

بالإمبراطور البيزنطي (جوستين/ يوستين الأول، وكان قد حكم بين ٥١٨ و ٥٢٧م) فكتب هذا إلى ملك الحبشة<sup>(٥)</sup>، وكانت على دين النصرانية، أن يرسل جيشا من لدنه لتأديب ذي نواس<sup>(٦)</sup>. وقد تم إرسال هذا الجيش بقيادة من تسميه مصادرها العربية أرياط، الذي تغلب على اليمنيين بقيادة ذي نواس الذي مات غرقا في البحر بعد أن اقتحمه إثر هزيمته أمام الأحباش. وقد حكم أرياط، بأحباشه، اليمن مديدة إلى أن قاد أحد قادته المسمى أبرهة انقلابا عليه وقتله، ليستفرد هو بالحكم. وأبرهة هذا هو الذي قاد حملة عسكرية إلى مكة لهدم البيت العتيق فيها في الخبر الذي ورد في القرآن الكريم في سورة الفيل، وكان ذلك سنة ٥٧١م فيما عرف بعام الفيل، والذي كانت فيه ولادة الرسول (ﷺ). وقد توفي أبرهة في هذه الحملة، أو بعيدا بقليل، ليرثه في الحكم ولداه يكسوم ومسروق على التوالي<sup>(٧)</sup>.

اتصف حكم الأحباش لليمن بالظلم والاضطهاد<sup>(٨)</sup>. وقد حاول أهل اليمن غير مرة التخلص من حكم الحبشة بثورات متتالية فشلت جميعا، فتوجهت أنظارهم إلى الخارج طلبا للمساعدة. والأكثر شيوعا في المصادر العربية القديمة أن الأمير سيف بن ذي يزن الحميري هو الذي أخذ على عاتقه مهمة الاستجداد بإحدى القوتين الكبيرتين في المنطقة: الفرس والبيزنطيين، فسار أولا إلى بيزنطة يستجد بقيصرها الذي رده خائبا لالتقاء البيزنطيين بالأحباش في النصرانية، فتوجه بعد ذلك إلى فارس طالبا العون من كسرى أنوشروان<sup>(٩)</sup>. وتتفق المصادر التي أوردناها في الحاشية السابقة على أن اسم سيف هو معدي كرب، غير أن المسعودي يشذ عن هذا الاتفاق، فهو يذكر أن معدي كرب هذا هو ابن سيف، وأن سيفاً مات على باب كسرى دون أن يحقق بغيته، بينما تمكن ابنه معدي كرب من الحصول على المساعدة التي طلبها أبوه من الملك الفارسي<sup>(١٠)</sup>. إلا أن الاضطراب الظاهر في رواية المسعودي، بالإضافة إلى قرائن أخرى، ترجح الكفة لجهة المصادر التي جعلت سيف بن ذي يزن هو صاحب الحادثة.

حصل سيف على دعم عسكري من كسرى قوامه ثمانية مئة رجل وفق ما ذكره كثير من مصادرها القديمة<sup>(١١)</sup>. وقد غاب عن المسعودي أن يذكر عددهم<sup>(١٢)</sup>، بينما انفرد ابن قتيبة الدينوري بذكر أن الجيش الذي أرسله كسرى كان عديده ٧٥٠٠ رجل<sup>(١٣)</sup>.

ويبدو أنه من الصعب التوفيق بين هذين الرقمين، فالمساحة بينهما متسعة، وإن كنا نميل إلى رفض الرقم الذي أورده ابن قتيبة لاضطراب معلوماته عن الحملة. كذلك لا يمكن الاحتجاج بما ذكره المسعودي عن أن مسروقا الملك الحبشي في اليمن حشد مئة ألف لمواجهة الحملة الفارسية<sup>(١٤)</sup>، لترجيح أن يكون الرقم الذي أورده ابن قتيبة هو "الأقرب إلى الواقع"<sup>(١٥)</sup>. فبالإضافة إلى ضرورة أخذ الحذر من الأرقام الكبيرة التي توردها المصادر العربية القديمة عن أعداد الجيوش التي يبالغ فيها كثيرا<sup>(١٦)</sup>، فقد كان مسروق في وضع لا يسمح له بحشد مثل هذه القوات، فقد تأكل حكم الأحباش في زمنه إلى درجة الانهيار، وضعفت سلطاته إلى درجة أن المصادر العربية القديمة لا تذكر شيئا بصدده، وتحدثت فقط عن حكام المدن، والولايات، والقبائل المختلفة<sup>(١٧)</sup>. لذلك نرانا نرجح أن يكون رقم ٨٠٠ رجل الذي ذكرته المصادر العربية التي أشرنا إليها، أو ما هو قريب منه، هو ما تطوع كسرى به لمساعدته سيف بن ذي يزن. وما يجعل هذا الترجيح معقولا أن هؤلاء شحنوا إلى اليمن، كما سوف يرد بعد قليل، بثماني سفن (حمولة كل منها مئة من الرجال)، فلا يعقل أن تكون حمولتها مجتمعة ٧٥٠٠ رجل كما زعم ابن قتيبة.

جند هؤلاء الرجال من أهل السجون، وقد حبسهم كسرى للقتل، فكان أن تخلص منهم فإما أن يقتلوا في اليمن، أو ينتصروا فيضيفوا إلى ملكه مناطق جديدة. أما قائد المجموعة فقد كان من تسميه مصادرها العربية (وهرز)، وقد كان أيضا سجيناً<sup>(١٨)</sup>، إلا أنه كان، كما يبدو، أحد القادة العسكريين الكبار، وقد سجن لأمر ارتكبه. فاسمه خرزاد بن نرسي<sup>(١٩)</sup>، أما (وهرز) فهو لقب فارسي يدل على مرتبة عالية من مراتب كبار الناس<sup>(٢٠)</sup>، فقد كان من الأساورة<sup>(٢١)</sup>، وهم أصحاب الحروب وقواد الجيش<sup>(٢٢)</sup>، كما كان قد ولي "مرزبة الديلم والجبيل"<sup>(٢٣)</sup>، والمرزبة من المرزبان وهو رئيس البلد<sup>(٢٤)</sup>.

انطلقت هذه القوة الفارسية بقيادة (وهرز) ومعها سيف بن ذي يزن من رأس الخليج العربي (من موقع قرب الأبله)، وقد حملت في ثمان سفن، غرقت اثنتان منها كل واحدة منهما تحمل مئة رجل على الطريق، ووصلت إلى سواحل حضرموت لتتطلق منها براً إلى اليمن. وقد تمكنت هذه القوة (التي كان قوامها آنذاك ستة مئة رجل)،

بالإضافة إلى من لحق بسيف من بني قومه وكانوا "بشراً كثيراً" <sup>(٢٥)</sup>، من إلحاق الهزيمة بالحشد الذي جمعه (مسروق بن أبرهة) وقتله هو نفسه، والسيطرة بالتالي على البلد. وقد نصب (وهرز) سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، مقابل جزية وخرج معلوم يدفعه سنوياً لكسرى، وغادر بعدها اليمن عائداً إلى بلاده تاركاً جنوده الفرس في اليمن <sup>(٢٦)</sup>.

كان قدوم وهرز وسيف بن ذي يزن إلى اليمن في السنة الخامسة والأربعين من ملك كسرى أنوشروان وفق ما أثبتته المسعودي <sup>(٢٧)</sup>، وقد حكم كسرى بين ٥٣١ و ٥٧٨ للميلاد، مما يجعل وقوع هذه الحادثة في حوالي سنة ٥٧٦م، أي بعد ولادة النبي (ﷺ) بنحو من خمس سنوات أو ست (كانت ولادته (ﷺ) في سنة ٥٧١م)، لذلك فإن ما ذكره حمزة الأصفهاني وابن سعيد <sup>(٢٨)</sup> عن أن قدوم وهرز إلى اليمن كان وعمر النبي (ﷺ) ثلاثون سنة إنما هو إشارة إلى مقدمه الثاني (الذي سنشير إليه بعد قليل)، وليس ذلك الذي كان في حملته الأولى.

إن تناوب الأيدي ما بين الأحباش والفرس على حكم اليمن لا يمكن عزله عن الصراع ما بين بيزنطة وفارس. وقد كانت اليمن ذات أهمية استراتيجية عظمى بالنسبة للدولتين لوقوعها على مفصل من المفاصل الرئيسية لخطوط التجارة العالمية آنذاك، وكان التحكم بهذا المفصل يؤدي إلى الهيمنة على طرق التجارة الملتقية فيها، القادمة من الهند ومن سواحل أفريقيا الشرقية والجزيرة العربية والمتجهة عكساً إلى هذه الجهات. ويلاحظ أن استيلاء الأحباش على اليمن، بأمر من بيزنطة، جاء في وقت كانت الدولة الفارسية تمر في أزمة حكم طاحنة في عهد الملك قباذ بن فيروز الذي اتصف عهده بالصراع على العرش بينه وأخوته. ويمكن تصور أن الإمبراطور البيزنطي جوستين/يوستين الأول (الذي طلب من الأحباش بغزو اليمن) كان مطلعاً على ذلك الصراع، فاستغل الفرصة ليفرض من خلال الأحباش سيطرته على اليمن.

وقد انقلب الوضع بعد نحو من خمسين سنة عندما بسط الفرس سلطتهم على اليمن في عهد كسرى أنوشروان الذي اشتهر بحروبه الكثيرة خارج حدود مملكته التي ورثها عن أبيه قباذ وأضاف إليها مناطق جديدة في الشرق. ونرى أن الحملة العسكرية التي أرسلها مرافقة لسيف بن ذي يزن كانت منسجمة مع سياسته التوسعية على حساب

بيزنطة، التي كانت آنذاك تعاني، بدورها، من مشكلات في قمة الحكم بعد أن أصيب إمبراطورها جوستين/ يوستين الثاني (حكم بين ٥٦٥ و ٥٧٨م) باضطراب عقلي سنة ٥٧٤م ألجأ ابنه (بالتبني تيبيريوس) إلى الاستيلاء على زمام السلطة مبقياً على (جوستين) في منصبه الرسمي إلى وفاته سنة ٥٧٨م. ويمكن تصور أن هذا الوضع أتاح الفرصة لكسرى لكي يستفرد باليمن ذات الموقع الاقتصادي المهم. ويستدل من مصادرنا العربية القديمة على أن اليمن اتخذت في زمن أنوشروان لتكون عتبة للتوغل الفارسي الاقتصادي في شرق آسيا (الموطن الرئيسي للتجارة الشرقية)، فيذكر أحد هذه المصادر أنه "لما دانت لكسرى بلاد اليمن، وجه إلى سرنديب من بلاد الهند، وهي أرض الجواهر، قائداً من قواده في جند كثيف، فقاتل ملكها فقتله، واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة" (٢٩).

ومهما يكن الأمر، فقد أحيط سيف بن ذي يزن، بعد تملكه اليمن، بهالة من المجد باعتباره محرر البلد من طغيان الأحباش، خاصة وقد كان خطرهم قد وصل إلى تهديد مكة وبيتها العتيق الذي كانت له قداسته غير المشكوك فيها بالنسبة لعرب الجزيرة كافة. ويذكر بعض مصادرنا أن وفوداً عديدة ضمت أشراف العرب وشعراءها قدمت عليه في صنعاء لتهنئته على ما فعل، ومنها وفد من قریش، فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن شمس وخويلد ابن أسد. وقد ألقى رؤساء هذا الوفد كلمات أمام الملك اليمني تشيد به وبما صنع، كما أنشده أمّية بن أبي الصلت أبياتاً يمدحه فيها، ويسجل فيها انتصاره على الأحباش (٣٠).

وقد تعامل سيف مع الأحباش بقسوة بالغة فأفنى معظمهم، واتخذ من بعضهم رقيقاً وخولاً له، وكانت نهايته على أيدي بعض خوله منهم إذ قتلوه وهو في أحد مواكبه، بعد أن تملك مدة اختلفت مصادرنا فيها ما بين خمس عشرة سنة (٣١)، وأربع سنوات (٣٢). وقد انتشرت الفوضى في اليمن بعد مقتل سيف، وأخذ أهل كل ناحية منها يملكون عليهم رجلاً من حمير في مرحلة مضطربة من تاريخ اليمن عرفت بمرحلة ملوك الطوائف (٣٣). وعند هذا المفصل كان مقدم (وهرز) للمرة الثانية (وعمر النبي ﷺ) ثلاثون عاماً أي في حوالي سنة ٦٠٠م، وكان على رأس قوة كبيرة من أربعة آلاف

فارس فدخل صنعاء، وأقام فيها حكماً فارسياً مباشراً، كان هو على رأسه نائباً لكسرى<sup>(٣٤)</sup>.

استمر حكم الفرس اليمن حكماً مباشراً منذ قدمة (وهرز) الثانية إلى أن دخلت في حوزة الإسلام في عهد النبي (ﷺ) كما سوف نبين بعد قليل. وقد اختلفت مصادرنا في عدد ولاية الفرس للأكاسرة وأسمائهم اختلافاً كثيراً، فكانوا ما بين ستة ولاية وثمانية<sup>(٣٥)</sup>. والذي يهم من هؤلاء الولاية (بازان بن ساسان) آخر من قدم صنعاء من ولاية العجم<sup>(٣٦)</sup>، والذي جرى في زمنه أول اتصال للإسلام باليمن.

### إسلام الأبناء :

كانت بداية دخول الأبناء في الإسلام في السنة السابعة للهجرة (٦٢٨م). وكانت خلفية الحدث تعود إلى السنة السابقة (السادسة للهجرة)، عندما بعث النبي (ﷺ) برسائل إلى ملوك عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام<sup>(٣٧)</sup>، ومنهم الملك الفارسي كسرى أبرويز (خسرو الثاني). وقد أثارت الرسالة إلى كسرى غضبه، فمزقها، وكتب إلى (بازان)، عامله في صنعاء، أن يبعث إلى محمد بمن يقبض عليه ويأتيه به. وبناء على هذا قام (بازان) بإرسال اثنين من رجاله، (خره خسرو وبابويه)، لهذا الغرض، ووصلا إلى المدينة المنورة في جمادى الأولى من السنة السابعة للهجرة (أيلول ٦٢٨م)، حيث التقاهما النبي (ﷺ) في وقت كان (شيرويه) قد قتل أباه (أبرويز) وتملك مكانه، فأخبرهما النبي (ﷺ) بذلك، ودعاهما إلى الإسلام، كما طلب منهما أن يدعوا (بازان)، أيضاً، إلى الإسلام، وفي حال استجابته يعطيه النبي (ﷺ) ما تحت يديه ويملكه على قومه من الأبناء<sup>(٣٨)</sup>. وبعد عودة الرسولين إلى صنعاء تريت (بازان) إلى أن تلقى رسالة من شيرويه (الملك الفارسي الجديد) يبلغه فيها أنه قتل أباه، ويطلب منه أن لا يتعرض لمحمد كما طلب قبل أبوه (أبرويز). وتذهب بعض مصادرنا إلى القول بأن (بازان) ورسوليه وجماعة من الأبناء قد أعلنوا إسلامهم إثر تلقيه هذه الرسالة<sup>(٣٩)</sup>.

غير أن الطبري يورد عن إسلام (بازان) روايتين، إحداهما تذهب إلى أن ذلك حدث بعد التطورات التي أشرنا إليها في السنة السابعة للهجرة<sup>(٤٠)</sup>، بينما تقول الأخرى



إن إسلام (بازان) كان في السنة العاشرة عندما أرسل النبي (وبر بن يحنس) إلى الأبناء في اليمن يدعوهم إلى الإسلام فأسلم (بازان) عندئذ<sup>(٤١)</sup>. غير أنه لا يمكن الاطمئنان إلى هذه الرواية الثانية، ذلك بأن النبي (ﷺ) بعث (وبر بن يحنس) إلى الأبناء في أثناء ردة الأسود العنسي في أواخر أيامه (ﷺ) وكان (بازان) قد توفي قبل ذلك وتولى أمر الأبناء ابنه شهر بن باذان (انظر فيما يلي). لذلك نرجح أن يكون (بازان) قد أسلم إثر تلك التطورات التي حدثت في السنة السابعة للهجرة، وربما لم يكن ذلك مباشرة بعدها، بل انتظر برهة إلى أن تتجلي له أمور تتصل بقضايا الصراع الذي كان دائراً في المنطقة على أكثر من جبهة.

إذ لا يمكن عزل إسلام (بازان) عن مجمل التطورات التي حدثت في المنطقة آنذاك. ونشير إلى بعضها بشكل موجز كما يلي: كانت الحرب الفارسية-البيزنطية الكبرى التي ابتدأت سنة ٦١٤م<sup>(٤٢)</sup> وتمكن الفرس في مطالعها من اجتياح مناطق عديدة كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية (في مصر، وسوريا، وفلسطين) قد انتهت بهزيمة ساحقة للفرس سنة ٦٢٧م، عندما تمكن الإمبراطور البيزنطي (هرقل) من أن يدحرهم ويستعيد المناطق التي كانت قبل تابعة للبيزنطيين، ويصل إلى العاصمة الفارسية نفسها. وقد أحدثت هذه الهزيمة الشنيعة التي لحقت بالفرس تمردات وثورات عدة على كسرى أبرويز (خسرو الثاني)، الذي حدثت هذه الحرب في عهده، لتنتهي بمقتله في مؤامرة اشترك بها ابنه (شبرويه) الذي اعتلى العرش مكانه. وقد اضطر (شبرويه) إلى عقد صلح مذل مع البيزنطيين، بحيث مثل هذا الصلح، والنتائج الكارثية التي أسفرت عنها الحرب، بداية انهيار المملكة الفارسية<sup>(٤٣)</sup> التي أجهز عليها نهائياً في عهد الفتوحات الإسلامية الأولى زمن الخلفيتين الراشدين: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب.

من جهة أخرى كانت الدولة التي أنشأها النبي (ﷺ) في المدينة المنورة قد ثبتت أقدامها وأظهرت هيبتها في الجزيرة العربية، باعتبارها قوة عسكرية لا يستهان بها، بالإضافة إلى ارتقائها مكانة سياسية مرموقة في المنطقة، خاصة بعد أن توصل الرسول (ﷺ) إلى صلح الحديبية مع الزعامات القرشية في مكة (في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة) الذي وصف في القرآن الكريم بأنه نصر وفتح<sup>(٤٤)</sup>، ثم غزوة مؤتة (في جمادى

الأولى من السنة السابعة للهجرة)، وما مثله هذا الحدث من دليل على ثقة النبي (ﷺ) بقدرته على مواجهة أعظم دولة في عصره، وبعدها فتح مكة (في رمضان من السنة الثامنة للهجرة) الذي كرس زعامة الإسلام في الجزيرة العربية.

هذه التطورات في المنطقة كانت تحيط بالتقاء مبعوثي (بازان) إلى النبي (ﷺ) وطلب النبي منه أن يعلن إسلامه مع وعد بأن يوليه أمر قومه من الأبناء. ولا بد أن يكون كل ذلك قد ساعد في اتخاذ (بازان) قراره بالتخلي عن ولائه لمملكة لحقت بها الهزيمة، ودبت بها الفوضى، وأصابها التصدع والانهيار، ليلتحق بكيان سياسي جديد يرهص بمستقبل واعد، وفي الوقت نفسه كان يتمدد في الجزيرة العربية ليصل إلى أبواب اليمن. وكانت وسيلته لذلك إعلان إسلامه الذي إن كان في جانب منه قبوله به ديناً، فكان، من جانب آخر، إذعانا للنبي (ﷺ) بصفته رئيساً لهذا الكيان الجديد. وقد برّ النبي (ﷺ) بوعده لمبعوثي (بازان) إلى المدينة بأن يملكه على قومه من الأبناء إن أسلم (أشرنا إلى ذلك أعلاه) فعينه عاملاً له على صنعاء واليمن، لتتأكد بذلك هذه الصيغة من الولاء والتبعية للكيان السياسي القائم في المدينة.

ومثلما كانت هذه التطورات الإطار العام لإسلام (بازان) وإعلانه الولاء لدولة النبي (ﷺ) في المدينة المنورة، فهي كانت -أيضاً- الحاضنة التي أنضجت ظروف إسلام الأبناء عامة. وقد أشرنا قبل إلى أن مبعوثي (بازان) إلى النبي (ﷺ) وجماعة من الأبناء أسلموا مع إسلام (بازان)، دون أن نعرف عدد هذه الجماعة. غير أننا نرى أن الإسلام أخذ ينتشر في صفوف الأبناء بدءاً من السنتين الثامنة والتاسعة للهجرة مع دخول الإسلام دخولا كثيفا في اليمن وهو ما نستدل عليه من تكاثر الوفود اليمنية التي أمتت المدينة المنورة آنذاك معلنة للنبي (ﷺ) إسلامها وإسلام قبائلها<sup>(٤٥)</sup>، وأيضا من المبعوثين العديدين الذين أرسلهم النبي (ﷺ) إلى اليمن لتتقيف أهلها بالإسلام، وكذلك لجباية الصدقات منهم<sup>(٤٦)</sup>. ومن المعقول جدا أن يكون الأبناء قد وقعوا تحت تأثير هذا التوجه العام نحو تقبل أهل اليمن الإسلام وتسليمهم بالانضواء تحت سيادة دولة النبي (ﷺ) في المدينة، الأمر الذي كان يعبر عنه بشكل عملي بقبولهم واليا عليهم في اليمن يعينه

النبي (ﷺ) نفسه، وبدفع الصدقة لمعبوثيه، لينتشر بينهم الإسلام أسوة بسائر القبائل اليمنية.

وخلال هاتين السنتين المشار إليهما، أقبل الأبناء على الإسلام ليكون ذلك نقطة تحول في تاريخهم. وبذلك فلا نرى وجها لما توصل إليه المدعج من "أن الأبناء باليمن قد دخلوا الإسلام رسميا في الفترة التي كان عبهلة<sup>(٤٧)</sup> بن كعب، المتنبئ [المعروف أكثر بالأسود العنسي، انظر أدناه] مسيطرا خلالها على صنعاء، من محرم إلى ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة الموافق أبريل - يونيو ٦٣٢م<sup>(٤٨)</sup>. فإذا كنا لا نعرف ما قصده الباحث من تعبير دخول الإسلام "رسميا" فإن ما هو مؤكد أن الأبناء قاموا بالدور الحاسم في القضاء على ردة الأسود العنسي، وفي تشتيت القوة العسكرية التي كان قد حشدها (كما سنوضح بعد قليل)، الأمر الذي يوثق حقيقة أن الأبناء كانوا قد أسلموا في زمن سابق لردة الأسود، وبأعداد كبيرة تسمح لهم بالتصدي له، وبالتالي القضاء على حركته.

ومهما كان الأمر، فقد أوكّل النبي (ﷺ) لـ (بازان) بعد إسلامه "عمل اليمن كلها، وأمره على جميع مخاليفها، فلم يزل عامل رسول الله (ﷺ) أيام حياته، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها، ولا أشرك معه فيها شريكا حتى مات (بازان)"<sup>(٤٩)</sup>. وقد عاجل الموت بازان في السنة العاشرة للهجرة، فأعاد النبي (ﷺ) توزيع الولايات في اليمن، فولّى شهر بن بازان على صنعاء فقط، بينما أوكّل لعدد من الصحابة ولايات مناطق اليمن الأخرى، وعهد إلى معاذ بن جبل أن يكون معلما ينتقل في عمالة كل عامل باليمن وحضر موت.

غير أن هذا الترتيب انتهك قبيل وفاة النبي (ﷺ) في أثناء الردة الأولى التي شهدتها اليمن، عندما ادّعى (عيهله بن كعب المعروف بالأسود العنسي) النبوة. كان ذلك في الأيام الأخيرة من حياة النبي (ﷺ)، وتمكن بمساعدة قبيلته (مذحج) من أن يتغلب على سواحل اليمن من عدن إلى حضرموت، ويمد سلطته من هناك إلى الداخل حتى الطائف والبحرين والإحساء، كما هاجم صنعاء واستولى عليها بعد أن قتل فيها واليها من قبل النبي (ﷺ) (شهر بن بازان)<sup>(٥٠)</sup>. وقد استقطب الأسود إلى جانبه عددا من القبائل

العربية، غير قبيلته، كما استمال إليه بعض الأبناء الذين كان منهم (فيروز، ودانويه)، وأوكل إليهم أمر قومهم<sup>(٥١)</sup>. ويستفاد من رواية منسوبة لفيروز أن التحاقه بالأسود كان خوفاً منه ومن بطشه، وأن الأسود كان حذراً منه وممن حوله من رؤوس الأبناء<sup>(٥٢)</sup>.

وكانت ردة فعل النبي (ﷺ) أن بعث برسائل إلى بعض القبائل، وإلى "أهل نجران من عربهم ونصاراهم"<sup>(٥٣)</sup> يحرضهم على التصدي للأسود. وقد عاد موقف الأبناء واعتدل عندما وصلت رسائل من النبي (ﷺ) إلى ثلاثة من رؤوسهم، (فيروز، ودانويه، وجشيش)، يأمرهم فيها بالقيام على دينهم، والنهوض في الحرب، و"العمل في الأسود: إما غيلة، وإما مصادمة"<sup>(٥٤)</sup>. وكان مبعوث النبي (ﷺ) إلى الأبناء هو (وبر بن يحنس)، وهو منهم وقد أسلم في وقت سابق، والتحق بالمدينة مقيماً عند النبي (ﷺ) إلى أن كانت ردة الأسود العنسي<sup>(٥٥)</sup>. وقد ساعد على تغيير موقف الأبناء من الأسود أنه أساء السيرة فيهم، واستخف بهم، مما جعلهم ينقمون عليه. وقد تمكن فيروز ورفيقاه (دانويه وجشيش) من إقناع قيس بن عبد يغوث بن مكشوح المرادي، وكان خليفة الأسود في جنده، بالتخلي عن سيده، واحتال الأربعة بالاتفاق مع امرأة الأسود العنسي، وكانت له شائنة إذ تزوجها كرهاً بعد أن قتل زوجها (شهر بن باذان)، على قتله غيلة في منزله<sup>(٥٦)</sup>.

وقد وصل خبر مقتل الأسود العنسي إلى المدينة بعيد وفاة النبي (ﷺ) وفي الأيام الأولى من عهد خليفته أبي بكر الصديق. وفي الوقت نفسه وصل خبر وفاته (ﷺ) إلى اليمن ولما تكن الأمور قد استقرت للمسلمين فيها، فما أسرع ما ارتد قيس المرادي (فيما تعرف بردة اليمن الثانية) إذ جمع حوله بقايا أنصار الأسود واتجه بهم إلى صنعاء، موجهها نقمته ضد الأبناء. وما أن تلقى أبو بكر خبر ردة قيس حتى أرسل إلى بعض رؤوس المسلمين في اليمن يحثهم على التمسك بدينهم، و"يأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوأهم، والسمع لفيروز"<sup>(٥٧)</sup>، ويخبرهم بأنه ولاء على اليمن<sup>(٥٨)</sup>. وكانت ردة فعل قيس أن كتب إلى بعض زعماء القبائل يدعوهم إلى قتل رؤوس الأبناء، وإخراج الأبناء من اليمن "فهم نزاع في بلادكم ونقلاء فيكم، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم"<sup>(٥٩)</sup>. ولما لم يجد

استجابة من هؤلاء دبّر أن يقتل رؤوس الأبناء غيلة في صنعاء، فقتل (دأويه) بينما هرب فيروز وجشيس (جشنس) نحو جبل خولان وهم أخوال فيروز، وتمكن قيس بذلك من صنعاء، وبالتالي من الأبناء. وقد عمل على أن يطرد الأبناء من اليمن، فقسمهم ثلاث فرق، فرقة أقرها في صنعاء، وأخرى وجهها إلى عدن لتحمل من هناك بحراً إلى فارس، وثالثة حملها في البر، وقال لهم جميعاً: الحقوا بأرضكم<sup>(٦٠)</sup>.

تولى فيروز حرب قيس المرادي، واستمد بعض القبائل العربية (عقيل وعك) فأمدته بالرجال، وتصدوا جميعاً لقيس ورجاله، فهزمهم، وأبعدوهم إلى منطقة ما بين صنعاء ونجران، وتمكنوا من إنقاذ الأبناء الذين كان قيس قد طردهم<sup>(٦١)</sup>. وفي هذه الأثناء وصل إلى نجران جيش كان قد أرسله أبو بكر من المدينة بقيادة المهاجر بن أبي أمية، فهزم قيساً وجماعته، وأخذ قيساً فأوثقه وسيره إلى أبي بكر، ثم دخل صنعاء<sup>(٦٢)</sup>، أما فيروز فذكر عنه أنه استمر أميراً على اليمن بالاشتراك مع المهاجر<sup>(٦٣)</sup>.

### الاندماج في المجتمع العربي :

ذكرنا قبل أن عدد من أرسلهم كسرى من الفرس مع (وهرز وسيف بن ذي يزن) كان ٨٠٠ رجل وصل منهم إلى اليمن ٦٠٠، كما قدم ٤٠٠٠ رجل في حملة (وهرز) الثانية. وقد شكّل هؤلاء أصل المجموعة السكانية التي عرفت بالأبناء. وتخلو مصادرها من أي بيان عن تطور أعداد هذه المجموعة بعد استقرارها في اليمن. ولكن يفترض أن تكون قد تكاثرت، ليس بسبب قدوم مقاتلين فرس إضافيين إليها، إذ لا نجد في مصادرها ما يشير إلى ذلك ما يدل على عدم حدوثه، ولكن من خلال قناتين: الأولى ما يمكن توقعه من قدوم "مدنيين" فرس إلى اليمن - غير الذين ضمتهم الحملتان العسكريتان الفارسيّتان - بعد أن أصبحت تحت حكم الفرس، وقد جذبتهم إليها ثرواتها الطبيعية التي كانت تقوم أساساً على الزراعة، والأحجار الكريمة، ومعادن الذهب، والفضة، ليستقر هؤلاء "المدنيون" فيها إلى جانب أقرانهم من العسكريين. وفي الحقيقة، لا نجد في المصادر العربية القديمة ما يؤيد بشكل مباشر هذا التوقع، لكن يمكن استنتاجه من بعض الدلالات والقرائن. من ذلك انخراط أعداد من

الفرس في ما يمكن أن نسميه الآن "الصناعات الاستخراجية" والتي كان مجالها الأساسي مناجم الفضة في اليمن، وخاصة ما يعرف بمعدن الرضراض الغني بالفضة، وكان العاملون فيه أسراً معروفة من الأبناء<sup>(٦٤)</sup>. وبالتأكيد لم يكن هؤلاء من المقاتلين الذين قدموا من فارس، بل كانوا جزءاً من "هجرة" مدنية فارسية إلى اليمن، شكلت لها الحملتان العسكريتان المظلة المواتية لنشاطها الاقتصادي.

وهذا ينطبق كذلك على الوجود الفارسي الكبير في المناطق الزراعية الخصبة في اليمن، خارج المدن الرئيسية التي كانت مراكز لقوتهم العسكرية والسياسية<sup>(٦٥)</sup>، ممّا يدل على أن الوجود الفارسي في اليمن لم يكن مقتصرًا على العسكريين، بل كان إلى جانبهم آخرون يشتغلون في الزراعة.

ومن هذه القرائن، أيضاً، وجود مدن في اليمن، شكل الفرس غالبية سكانها وعرفت بهم. ويدلنا ياقوت على اثنتين منها هما: رداع ووثات اللتان كانتا تعرفان "بمدينتي أهل فارس باليمن"<sup>(٦٦)</sup>. ولم يرد لأي من هاتين المدينتين ذكر يدل على أن من سكنوها كانوا من جنود الفرس، ممّا يمكن معه استنتاج أن تعبير "أهل فارس" الذي يرد عند ياقوت كان المقصود به فرسا مدنيين استوطنوا هاتين المدينتين.

أما القناة الأخرى التي مر بها تطور أعداد الفرس في اليمن فهو التكاثر الطبيعي للجنود الفرس في حملتيهم العسكريتين بسبب تكوين أسر وحالات اجتماعية طبيعية. وعن هذا يقول أحد مصادرها إن الفرس بعد أن استوطنوا اليمن "تأهلوا، ورزقوا الأولاد، فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الأبناء"<sup>(٦٧)</sup>. ونرى أن هذا "التأهل" قد اتخذ مسارين متوازيين من حيث التكوين العرقي للأسرة. أحدهما يكون فيه طرفا الأسرة (الزوج والزوجة) من الفرس أنفسهم، والآخر من خلال الزواج المختلط.

فمن الجهة الأولى، لا تخبرنا مصادرها عما إذا كانت نساء فارسيات قد التحقن بأفراد أي من المجموعتين اللتين قدمتا إلى اليمن. غير أننا نفترض أن يكون من المنطقي أن يكون بعض هؤلاء قد "استدعى" زوجته وأبناءه من بلادهم الأصلية إلى اليمن، بعد أن استقر بهم المقام فيها، كما نفترض أن يكون آخرون منهم قد تزوجوا نساء من بلادهم السابقة، وأحضروهن للعيش معهم في اليمن. ونقيم هذا الافتراض على أساس

معرفتنا بأن (وهرز)، بعد أن قدم للمرة الثانية إلى اليمن، شكل سلالة حاكمة فيها قائمة على مبدأ الوراثة. فإثر موته تولى الحكم ابنه (المرزبان)، وبعده (التينجان بن المرزبان)، وملك بعد هذا ابنه إلى أن عزله كسرى وأمر (بازان)<sup>(٦٨)</sup>. وهذا يعني أن كلا من هؤلاء كانت له أسرة (زوجة وأولاد) مقيمة معه في اليمن. ولا تخبرنا مصادرنا بأن أيًا منهم كان قد اتخذ زوجة عربية وهذا يؤكد أن الزوجات كن فارسيات. كما نعلم أن (بازان) كانت له أخت مقيمة معه في اليمن، وكان من أولادها (دازويه) الذي جاء ذكره هنا من قبل. كذلك كان (فيروز) أخت مقيمة هناك. ونرى أن هذه الحالات لم تكن حالات مفردة إذ نفترض أن تكون قد انطبقت على غير (وهرز وبازان وفيروز) من الفرس المقيمين في اليمن.

أما لجهة الزواج المختلط فتذكر مصادرنا أن كسرى أنو شروان سمح لأفراد المجموعة الأولى من الفرس التي قدمت مع سيف بأن يتزوجوا من نساء يمنيات، وإن كان اشترط على سيف ألا يتزوج اليمنيون من الفارسيات<sup>(٦٩)</sup>. ولا نعلم في الحقيقة إن كان هذا الشرط قد انطبق، أيضاً، على أفراد المجموعة الثانية. لكن يستدل من بعض القرائن على أن زواج الفرس من عربيات من اليمن كان شائعاً. فصاحب لسان العرب يؤكد ذلك عند تعريفه بالأبناء فيقول: "يقال لأولاد فارس الأبناء، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن، لما جاء يستجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتدبروها، وتزوجوا في العرب فقبل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم"<sup>(٧٠)</sup>. كذلك نعلم من مصادرنا أن (فيروز)، الذي ولي عمالة صنعاء بعد القضاء على ردة اليمن الثانية، كان من أم عربية، وأخواله من خولان كما أشرنا إلى ذلك قبل. ومن المستبعد أن تكون حالة (فيروز) حالة استثنائية، بل نفترض أن تكون مثل هذه الحالة شائعة في اليمن. وفي المقابل نميل إلى ترجيح أن يكون زواج اليمنيين العرب من نساء من بنات الأبناء أكثر شيوعاً من زواج الفرس من عربيات يمنيات. وإذا كنا في الحقيقة لا نملك دليلاً مادياً يسند هذا الحكم فإن استدعاء التقاليد العربية القديمة في الزواج إلى الذاكرة يجعل الباحث يطمئن إلى أن حكمه صحيح. ففي هذه التقاليد كان زواج العرب من أجنبيات أمراً أكثر استساغة من زواج

الأجانب بعربيات، الأمر الذي يعزز افتراض حدوث اختلاط في الدم العربي بالدم الفارسي في اليمن لإنجاب أجيال من آباء عرب ونساء فارسيات. إن ما نريد أن نتوصل إليه من هذا العرض هو أن الفرس الذين دخلوا اليمن غزاة ما لبثوا، مع مرور الزمن أن اتخذوها موطناً لهم (أو تديروها حسب تعبير ابن منظور الذي اقتبسناه أعلاه) وتقبلوا العيش فيها، واندمجوا في بيئة المنطقة، واستوعبوا في نسيجها الاجتماعي. فهذا الاختلاط السكاني ما بين العرب والفرس، من خلال المصاهرة والمعايشة الاجتماعية، إن صح التعبير، والاشتراك في الجغرافيا الواحدة، مثل مناخا موالياً لفعل عوامل أخرى لتقوم بدورها في عملية الاندماج. والعامل السياسي في هذه العملية مهم جداً؛ فمع اندثار مملكة الفرس الساسانيين في العهد الراشدي وجد الفرس في اليمن أنفسهم في مواجهة ظروف جديدة زال فيها الغطاء السياسي القديم الذي كانوا يستظلون بظله، وفقدوا بذلك مرجعيتهم السياسية التي كانوا يعودون إليها، فكان عليهم أن يتكيفوا مع هذه الظروف الجديدة في خيار وحيد لديهم هو أن يتقبلوا مبدأ الانتماء إلى الكيان الجديد (العربي الإسلامي)، ويصبحوا جزءاً منه، مستفيدين بذلك مما يتيح لهم هذا الكيان من فرص الاستيعاب في بنيته الاجتماعية والسكانية.

ويتضح ذلك أكثر ما يكون في انتشار الأبناء في مناطق مختلفة من اليمن وتعايشهم مع سكانها الأصليين، مثل: عدن ووادي البون، والجوف، ونجران، وصعدة، وجوب، وعقار، ودمار<sup>(٧١)</sup>، بالإضافة طبعا إلى صنعاء التي كانت منذ البدء نقطة التجمع الرئيسية لهم في اليمن، واستمرت كذلك لقرون عديدة. فحسب البيانات التي يقدمها الهمداني (توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م) كانت صنعاء في زمنه تحتل المكانة الأولى في منازل الأبناء، إذ كانت آنذاك مقسمة بين الشهابيين والأبناء "ويدخل من تنزر بها مع الأبناء، ويدخل البلد ومن تقحطن بها مع بني شهاب"<sup>(٧٢)</sup>. كذلك كانت بعض القرى خاصة بالأبناء، مثل: عقار التي كانت لهم<sup>(٧٣)</sup>، بينما كانوا يعيشون بأعداد قليلة في قرى أخرى، فكان في دمار "أنفار من الأبناء"، وفي جوب جنوب ريدة قبائل مختلفة "وقوم من الأبناء"، أما في صعدة فكان بيت واحد منهم فقط<sup>(٧٤)</sup>.



وإذا كانت اليمن قد استمرت، ولعهود عديدة في التاريخ الإسلامي، الموطن الرئيسي للأبناء فإن ذلك لا يعني أننا لا نجد لهم أثراً في غير اليمن من مناطق العالم العربي، فكما سنبين بعد قليل اشتهر كثير من الأبناء في مختلف أنحاء هذا العالم، لكن ما هو مؤكد أنهم غادروا اليمن على شكل أفراد، وليس جماعات، شأنهم في ذلك شأن سائر الناس الذين كانوا يتنقلون في العالم الإسلامي من مكان لآخر وفقاً لمتطلبات الحياة.

ويُخطئ صاحب كتاب الأغاني في ما ذهب إليه من وجود مجموعات سكانية خارج اليمن كانت بالأصل من الأبناء، ثم عرفت بأسماء مختلفة في مناطق سكنها في العراق وبلاد الشام والجزيرة. فهو يطلق على من سكن منهم في الكوفة اسم الأحامرة، وفي البصرة الأساورة، وفي الجزيرة الخضارمة، وفي الشام الجرامة<sup>(٧٥)</sup>. غير أننا، على كثرة تنقيبنا في المصادر القديمة، لم نجد شيئاً يدل على هذا الزعم. وكانت الإشارة الوحيدة، التي التقطناها، إلى هذه التسميات هي ما ورد في لسان العرب، لكن بمدلول يختلف تماماً عن ذلك المقصود لدى صاحب الأغاني، إذ يذكر صاحب اللسان أن هذه الجماعات كانت قد خرجت من "العجم"، وتفرقت في بلاد العرب (بمعنى ليست متفرعة من الأبناء)، "فمن أقام منهم في البصرة فهم الأساورة، ومن أقام منهم بالكوفة فهم الأحامرة، ومن أقام منهم بالشام فهم الخضارمة، ومن أقام منهم بالجزيرة فهم الجرامة، ومن أقام منهم باليمن فهم الأبناء، ومن أقام منهم بالموصل فهم الجرامة"<sup>(٧٦)</sup>. وواضح من هذا القول أن لفظ الأبناء أطلق فقط على من كان أقام باليمن، دون سائر الجماعات الأخرى.

وإلى جانب هذا العامل الاجتماعي الذي كان يفعل فعله في عملية اندماج الأبناء في المجتمع العربي، لا يمكن التغلغل من شأن العامل الاقتصادي في هذه العملية. فإذا كان الفرس الأوائل قد شكلوا طبقة عسكرية حاكمة، فإنهم، مع مرور الزمن وبمن لحق بأولئك الأوائل من مدنيين، انخرطوا في البنية الاقتصادية اليمنية (وأشرنا قبل إلى بعض دلائل على ذلك)، وأصبح نشاطهم الاقتصادي جزءاً من مكوناتها الأساسية، ما يشكل لهم قاعدة للاندماج في المجتمع اليمني عامة.

وعامل ثالث في عملية هذا الاندماج يتصل بتشرب الفرس باليمن للثقافة العربية. فما يبدو لنا مؤكداً أن نسبة منهم اكتسبوا الثقافة العربية، حتى قبل دخولهم الإسلام. فمبعوثا (بازان) إلى النبي (ﷺ)، (خره خسرو وبابويه)، خاطباه -عليه الصلاة والسلام- باللغة العربية، واستمعا إليه باللغة نفسها. كما يبدو (فيروز) في جميع الأخبار عنه عربي اللسان. وينطبق هذا الأمر، أيضاً، على (وبر بن يحنس). كذلك فإن من تسميه مصادرها أبا شاه اليماني، وهو من الأبناء، استمع إلى خطبة من خطب الرسول (ﷺ) فطلب أن تكتب له هذه الخطبة، فأمر عليه الصلاة والسلام بذلك<sup>(٧٧)</sup>، وهو ما يشي بأنه كان قارئاً للعربية. وأكثر من ذلك فإن الوالي الفارسي على اليمن، (خره خسره)، وهو الذي سبق (بازان) في الولاية، كان يقول الشعر بالعربية<sup>(٧٨)</sup>. كذلك تعلمنا مصادرها بأن (فيروز) كان شاعراً بالعربية أيضاً<sup>(٧٩)</sup>. ولا شك أن هؤلاء لم يكونوا حالة استثنائية، فطبيعة الاختلاط والمصاهرة بين الفرس، وهم قلة، والعرب اليمانيين، وهم الأكثرية، كانت تحتم أن تتعلم القلة لغة الأكثرية، ثم لتحل هذه اللغة (العربية) مكانة السيادة مع مجيء الإسلام وانتشاره بين الأبناء، بما له من الأثر الحاسم في نشر اللغة العربية وتوطيد أركانها، لتصبح هي لغتهم ووسيلتهم الوحيدة في التعبير.

إن هذا العرض الذي سبق له دلالته على استيعاب المجتمع العربي في اليمن لهذه المجموعة من الناس ذات الأصول العرقية الغربية عنه، طالما تقبلت مبدأ الانتماء إليه جغرافياً (حيث اتخذت من اليمن مكان إقامة دائمة لها)، وانشبكت بوشائج اجتماعية مع سكانها الأصليين، واندمجت ببنيتها الاقتصادية، وأصبحت جزءاً من كيانه السياسي، ونطقت بلغته، وهو ما له أهميته القصوى في اتجاه اكتساب الثقافة السائدة في تلك البيئة. غير أن الإسلام كان له الدور الأعظم في عملية الاندماج هذه. فقد جاء انتشاره في أوساط هذه المجموعة، وحلوله لديها محل معتقداتها الدينية السابقة، ليحسم في مسألة اندماجها في نسيج المجتمع العربي الإسلامي، على الصعد كافة: الثقافية والسياسية والاجتماعية، وليبتر أي صلة لها بثقافتها السابقة، وبانتماءاتها الأعراقية والجغرافية القديمة.

كذلك فإن الإسلام، بإرسائه مبدأ المساواة بين الناس، أتاح للأبناء فرصاً متكافئة مع غيرهم من عناصر المجتمع، أفراداً وجماعات، لكي يشاركوا في المشهد الحضاري وفق طاقاتهم ومؤهلاتهم الفردية، دون قيود بسبب الجنس، أو الأصل الإثني، أو الانتماءات الدينية السابقة. وفي هذا المشهد يصعب أن نميز ملامح خاصة بالأبناء — إن لم يكن ذلك من باب الاستحالة — تفردهم عن سائر المكونات البشرية للمجتمع العربي الإسلامي من حيث تكوينهم الثقافي والحضاري، إلا ما كان ذلك من تعريف بهم بأنهم من الأبناء، أو إلحاق صفة "البنوي" بأحدهم، للإشارة إلى أصله، دون أن يتضمن ذلك موقفاً منهم، سلبياً أكان الموقف أم إيجابياً. ومثل هذه الإشارات التعريفية كانت جزءاً من التقاليد العربية التي كانت تدل على الأفراد بقبائلهم، فانطبقت، كذلك، على الأبناء الذين إن لم يعرفوا بانتماءاتهم القبلية التي لا نجد لها أثراً بينهم، فبالإشارة إلى أصولهم الإثنية.

وفي سياق البحث في عملية اندماج الأبناء في المجتمع العربي يثار سؤال عن دورهم في المشهد السياسي في التاريخ الإسلامي. وفي هذا الشأن نستذكر أن الفرس خاصة، بعد حملتهم العسكرية الثانية، كانوا يشكلون طبقة سياسية حاكمة، بينما كان رئيسهم بمنزلة ممثل ملك فارس، ومندوب عنه في إدارة شؤون اليمن. غير أن الفرس كما يبدو لنا في عهد (بازان) (قبل أن يدخل الإسلام اليمن) لم يكونوا مجرد نخبة سياسية حاكمة، بل كانوا، أيضاً، جزءاً من نسيج المجتمع اليمني، بما فيه من صراعات بين قبائله المختلفة. ويتضح ذلك أكثر ما يكون في تحالف الفرس، بقيادة (بازان)، مع قبيلة همذان في وجه تحالف القبائل المنتسبة إلى مذحج<sup>(٨٠)</sup>. ومع هذا فقد ظل الفرس فئة غريبة عن مجتمع اليمن السياسي، وإن تبوأ قمتها الحاكمة والمسيطرة.

إلا أن الوضع تغير مع دخول الأبناء الإسلام عندما أصبحوا جزءاً من بنية الكيان السياسي الذي أنشأه، فكان أن ظهوروا بقوة على المسرح السياسي في زمن النبي (ﷺ)، وكان لهم دورهم الكبير في إرساء دعائم الحكم الإسلامي في اليمن آنذاك، وأيضاً في مطلع خلافة أبي بكر الصديق، الذي تمثل أكثر ما يكون في تصديهم لحركة الردة في اليمن والقضاء عليها. وفي هذه المرحلة أسندت للأبناء مهمة الولاية على

اليمن، أو على أجزاء منها (وقد أشرنا إلى ذلك قبل)، كما أسندت الولاية إلى نفر منهم بعد انقضاء عهد الراشدين (انظر أدناه تحت عنوان أعلام من الأبناء).

وبعد ذلك أخذ نجمهم السياسي بالأفول، فلا نجد لهم أثراً إلا استثنائياً في الحياة السياسية والإدارة، كما هي الحالة مع (فيروز) الذي عمل والياً في اليمن لمعاوية بن أبي سفيان، وابنه الضحاك بن فيروز وحنش بن عبد الله الصنعاني اللذين توليا اليمن لعبد الله بن الزبير (انظر أدناه). ومن هذه الحالات الاستثنائية التي تشي بنشاط سياسي لأي من الأبناء هي المتصلة بصدقة بن يسار الجزري (مولده ومنشؤه في الجزيرة، وانتقل للعيش في مكة والمدينة، وتوفي في أول خلافة بني العباس)، إذ يستدل من ترجمته أنه كان من الخوارج إلا أنه تولى عنهم، أو حسب تعبيره "كنت منهم غير أن الله عافاني"، وغدا من مشهوري رواة الحديث، وقد عده علماء الجرح والتعديل من الثقات<sup>(٨١)</sup>.

وتؤكد هذه الحالات المعدودة ضмор دور الأبناء في الحياة السياسية. ويمكن أن تفسر هذه الظاهرة بحقيقة أن الأمويين اعتمدوا في سياستهم بتعيين الولاة على العرب بشكل يكاد يكون حصرياً<sup>(٨٢)</sup> انسجاماً مع سياستهم الحزبية/ القبلية القائمة على التحالف مع الكتل القبلية لتعزيز قاعدة حكمهم، فكان أن شكلت هذه الكتل لديهم مصادر لاختيار الولاة وقادة الجيوش استجلاًباً لدعم كتلهم، وضماناً لولائها، ممّا حرم بقية عناصر المجتمع الأخرى (بما فيها الأبناء) من أن يكون لهم نصيب في هاتين المؤسستين المهمتين.

وبالتأكيد، لا ينطبق هذا التفسير على العصر العباسي الذي لم تعد الإدارة العليا فيه (منصب الوزارة، والولايات، والقيادات العسكرية) حكراً على العرب، كما كان الأمر في العصر الأموي، بل كان قوامها خليطاً من شخصيات ذات منابت أعراقية مختلفة (من الفرس، والديلم، والترك، مع مساحة ضئيلة للعرب)<sup>(٨٣)</sup>، تتناوب على احتلال مناصب الإدارة العليا وفق تبدل القوى المسيطرة على شؤون الخلافة والحكم في العصور العباسية المختلفة. وبذلك، فإن الأبناء لم يستثنوا من شؤون الحكم في اليمن بسبب أصولهم غير العربية، بل يعود ذلك لأسباب أخرى تتعلق بتراجع أهميتهم في اليمن إزاء ظهور قوى قبلية وسياسية أزاحتهم عن مواقع النفوذ السياسي هناك، ولجمت

طموحهم نحو السلطة. فمع تولي العباسيين الخلافة سنة ١٣٢هـ، برزت في صنعاء بعض الأسر القحطانية، وقد تزعمتها أسرة آل شهاب التي ترجع بنسبها إلى حمير، وقد توالى على صنعاء خمسة عشر والياً قحطانياً خلال العصر العباسي الأول<sup>(٨٤)</sup>. وغير هؤلاء أسست سلالة حاكمة في اليمن اتخذت من زبيد عاصمة لها، هي الأسرة الزيادية (نسبة إلى زياد بن أبيه، والي الأمويين المشهور)، لتبسط سلطتها على بعض مناطق اليمن مدة ١٦٧ سنة (بين ٢٠٤ للهجرة و ٨١٩/٣٧١ للميلاد و ٩٨١)، كما أسست سلالة حاكمة أخرى (بنو يعفر أو اليعفريون الذي عدوا أنفسهم من بقية تبابعة حمير)، وقد بسطت سلطتها على صنعاء، وبيحان، ونجران، وجرش (٢٢٥-٣٩٣هـ/٨٤٠-١٠٠٣م)، وقد تقاطع مع حكمهم زمنياً ظهور دولة القرامطة في اليمن (٢٦٨-٣٠٣هـ/٨٨١-٩٩٥م) الذين اتخذوا من المذيخرة قاعدة لسلطتهم. وفي مثل هذه الأحوال التي انتقلت فيها السلطة والسيادة في اليمن إلى قوى سياسية، وقبلية، مختلفة يغدو مفهوما تراجع دور الأبناء في الحياة السياسية فيها، وضموره حتى يكاد لا يرى.

أما في غير اليمن فإن المعلومات المتاحة عن الأبناء في المصادر العربية (انظر أدناه) تدل بشكل قاطع على أن من كان لهم ظهور وتميز كانوا بعيدين عن أهل السياسة — إلا من أشرنا إليهم كولاية في زمن النبي (ﷺ)، وعهد الراشدين، ومطلع العصر الأموي — وكان يغلب عليهم الاشتغال بالعلم والثقافة عامة، وذلك حتى أواخر القرن الثالث الهجري، حيث كانت المصادر العربية القديمة تميزهم بتعريفهم بالأبناء، أو بإلصاق صفة البنوي أو الأبنوي بمن تذكرهم هذه المصادر أو تترجم لهم. والحالة الاستثنائية التي وجدناها تشذ عن هذه القاعدة تعود إلى مرحلة لاحقة، عندما ظهرت على المسرح السياسي في أواخر القرن الرابع الهجري وفي القرن الخامس أسرة من نسل الأبناء تولى عدد من أبنائها مناصب وزارية وإدارية مختلفة. عرفت هذه الأسرة ببني المغربي الذين يعودون بنسبهم إلى (بازان)، أول من اعتنق الإسلام من الأبناء. وقد أطلق عليهم هذا الاسم لجد لهم أعلى، هو أبو الحسن علي بن محمد، الذي كان قد سكن المغرب ثم قدم بغداد، فعرف بالمغربي، وعهدت إليه ولاية في الجانب الغربي منها<sup>(٨٥)</sup>.

في تاريخ لم يعينه مصدرنا ولكن يستنتج من السياق أنه كان في مطلع القرن الرابع الهجري. ومن هذا الجد جاء الحفيد أبو الحسن علي بن الحسين المغربي الذي وزر لسيف الدولة الحمداني في حلب، وإثر وفاته سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م استوزره ابنه سعد الدولة، ثم غادر حلب والتحق بشرف الدولة البويهية في بغداد، وانتقل سنة ٣٨١/٩٩١م إلى القاهرة لخدمة الدولة الفاطمية فيها، حيث ولي نظر الشام وتبوير الرجال والأموال. وقد استوزره الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ثم انقلب عليه فقتله، كما قتل ولديه المحسن ومحمد، وأخاه عبد الله سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م<sup>(٨٦)</sup>.

وقد نجا من هذه الكارثة ابن ثالث للوزير الفاطمي هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين الذي عرف في التاريخ بالوزير المغربي، ولقب بالوزير الكامل. هرب أبو القاسم بعد المجزرة التي نفذها الحاكم الفاطمي بحق أبيه وأخويه وعمه إلى الرملة في فلسطين، وهناك حرض المتغلب عليها حسان بن مفرج ابن الجراح الطائي على شق عصا الطاعة على الخليفة الفاطمي. وقد دبر الاثنان على أن يستدعيا أبا الفتوح الحسن بن جعفر، صاحب مكة آنذاك، ويعلنه خليفة في الرملة. وقد نجح هذا التدبير إذ وصل أبو الفتوح إلى الرملة، حيث بويع بالخلافة ولقب بالرشيد. إلا أن الحاكم ما لبث أن احتال حتى استمال بني الجراح إليه فتخلوا عن أبي الفتوح ممّا اضطره إلى الهروب والعودة ثانية إلى مكة. وإثر فشل هذا المشروع هرب أبو القاسم، أيضاً، من الرملة متجهاً إلى بغداد، قاصداً الوزير فيها أبا غالب بن خلف. غير أن الخليفة العباسي آنذاك (القادر بالله) توجس خيفة من أبي القاسم فطلب من أبي غالب أن يبعده عن بغداد، فأبعد إلى واسط. ومن هناك سعى إلى إصلاح علاقته مع الخليفة، وعاد إلى بغداد لفترة وجيزة، لينتقل بعدها إلى الموصل، حيث تقلد كتابة أميرها قرواش العقيلي مدة ثلاث سنوات. وفي عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م استدعي إلى بغداد ليتقلد وزارة أمير الأمراء مشرف الدولة البويهية مدة عشرة أشهر وأياماً، ليخسر منصبه بتدبير من الخليفة نفسه. وخلال السنتين اللاحقتين تنقل ما بين الموصل، وآمد، وميافارقين، التي توفي فيها سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧، ليحمل جثمانه - بناء على وصيته - إلى الكوفة ليُدفن فيها، في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب. ولم يمنع انشغال أبي القاسم المغربي بالسياسة

من الانصراف إلى الأدب والتأليف، فقد كان شاعرا ترك ديوان شعر، وكان له عدد من المصنفات في السياسة، والأدب، والبلاغة، واللغة<sup>(٨٧)</sup>.

ومن بني المغربي ظهر وزير آخر، بعد وفاة أبي القاسم بنحو من ثلاثة عقود، ذلك هو أبو الفرج بن محمد بن جعفر ابن المغربي. وأبو الفرج هذا هو حفيد محمد الذي قتله الخليفة الفاطمي مع أبيه الوزير علي بن الحسين سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م (انظر أعلاه). وكان أول ظهور سياسي لأبي الفرج عندما كان من رجال البساسيري (أرسلان بن عبد الله) قبل أن يقوم هذا بانقلابه على الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م<sup>(٨٨)</sup>. وقد ترك أبو الفرج بغداد قبل فتنة البساسيري، وتوجه إلى القاهرة، حيث استوزره الخليفة الفاطمي المستنصر في تلك السنة، ولقبه "الوزير الأجل الكامل الأوحـد صفي أمير المؤمنين وخالصته". وقد أقام في الوزارة سنتين وعدة شهور وعزل. ثم استوزره المستنصر من جديد لفترة قصيرة سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وبعد عزله تولى ديوان الإنشاء إلى وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م<sup>(٨٩)</sup>.

وما يمكن أن يقدمه نموذج أسرة بني المغربي لأغراض هذا البحث، هو إظهار هذه الخصوصية التي تميز بها المجتمع العربي الإسلامي في مختلف مراحل تطوره التاريخي، والتي يمكن وصفها باختصار: بأنها خصوصية الاستيعاب والتمثل، حتى على الصعيد السياسي، حيث تذوب الفوارق بين الأجناس لبتاح للجميع فرص متكافئة في الظهور تحكمها فقط قدرات الفرد ومواهبه.

### أعلام من الأبناء :

تتضح ظاهرة استيعاب المجتمع العربي الإسلامي للأبناء في نسيجه الاجتماعي والثقافي أكثر ما يكون الوضوح عند استنكار أسماء العديد منهم، الذين تميزوا في مختلف دروب الحضارة العربية — الإسلامية، العلمية منها، والأدبية، والإدارية. وقد احتفظت مصادرها العربية القديمة بأسماء وتراجم لأعلام عدة ظهوروا في التاريخ الإسلامي، وكان لهم تميز في مجالات مختلفة. وقد مرّ في تضاعيف هذه

الدراسة أسماء الجيل الأول من مسلمي الأبناء الذين كانوا أول من أسلم في اليمن، وكان لهم الأثر الكبير في توطيد أركان الإسلام هناك. ومن هؤلاء كان (بازان) وابنه شهر، ودأويه، وخره خسره، ووبر بن يحنس، وجشيش (أو جشنس)، وأبو شاه اليماني، كما كان من أوائل من أسلموا مركبود الديلمي<sup>(٩٠)</sup>، وأم سعيد البزرجية زوجة دأويه الفارسي<sup>(٩١)</sup>.

وكان لفيروز من هؤلاء الأوائل مكانة خاصة في مصادرنا، إذ كانت له صحبة، ورويت له أحاديث عن النبي (ﷺ)، وولاه أبو بكر الصديق أمر صنعاء بعد أن قتل الأسود العنسي شهر بن باذان، وكان على رأس من تصدوا لقيس المرادي في ردتهم. وقد استعمله معاوية بن أبي سفيان مدة على صنعاء، وتوفي سنة ٥٣هـ<sup>(٩٢)</sup>. وغير هذا الجيل الأول أوردت كتب الطبقات والأعلام أسماء عشرات عدة لشخصيات من الأبناء بارزة أهلتها مواهبها لتحتل مكانتها المتميزة في التاريخ العربي الإسلامي. وإذا كانت المساحة المخصصة لهذه الدراسة لا تحتل تقديم قائمة شاملة بأسماء هؤلاء وتراجهم، فنل عليهم بأمثلة اخترناها على مدى القرون الهجرية الثلاثة الأولى كما يلي:

من هؤلاء عطاء بن مركبود الديلمي المشار إليه أعلاه، وقد قرأ القرآن وهو أول من جمعه باليمن<sup>(٩٣)</sup>.

ومنهم أبناء ثلاثة لفيروز (أشرنا إليه قبل) عُرفوا رواية حديث هم: الضحاك، وعبدالله، وعياش، وقد أقاموا في فلسطين<sup>(٩٤)</sup>، وكان أشهرهم الضحاك الذي عدّه خليفة من رجال "الطبقة الأولى من أهل اليمن"<sup>(٩٥)</sup>. وقد تولى الضحاك مدة سنة ولاية اليمن لعبد الله بن الزبير في أثناء ثورته على الأمويين<sup>(٩٦)</sup>، إلا أنه يبدو أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان استقطبه إلى صفوفه بعد قضائه على ابن الزبير، إذ تخبرنا ترجمته أنه كان يصحبه ويجالسه<sup>(٩٧)</sup>. وقد اشتهر من نسل (فيروز)، أيضاً، أبو السمط الفيروزي الأبنواوي، وكان شاعراً، وقد عاصر الخليفة العباسي الثالث المهدي بن المنصور.



ومنهم حنش بن عبد الله الصنعاني، ويعرف، كذلك، بأبي رشدين الجندي، الذي عد في طبقات التابعين من أهل اليمن، وقد كان مع علي بن أبي طالب الذي وجهه إلى الكوفة، ثم ولاء عبد الله بن الزبير اليمن، فأسر وأتي به إلى عبد الملك بن مروان في وثاق، فعفا عنه، ثم انتقل إلى مصر زمن الحجاج، فإلى الأندلس، حيث أسس في سرقسطة جامعها، وتوفي هناك<sup>(٩٨)</sup>.

ويعدُّ طاووس بن كيسان أكثر العلماء من الأبناء شهرة، وكان "أحد الأعلام التابعين، فقيهاً، جليل القدر، نبيه الذكر"، وقد كان مولده ومنشؤه في اليمن ووفاته في مكة سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م، وقد احتفظت مصادرها<sup>(٩٩)</sup> بقصة عنه تبين جرأته على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، إذ حكى عنه "أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: ايتوني برجل من الصحابة، فقيل: يا أمير المؤمنين لقد تفانونا. قال: فمن التابعين، فأتي بطاووس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسمه بإمرة المؤمنين، ولم يكنه، وجلس إلى جانبه بغير إذن، وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همّ بقتله، فقيل: يا أمير المؤمنين، أنت في حرم الله وحرم رسول الله (ﷺ)، لا يمكن ذلك، فقال له: يا طاووس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ فاشتد غضبه عليه وغيظه وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: يا هشام كيف أنت؟ فقال: أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي، وأما ما قلت لم تسم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذباً، وأما ما قلت لم تكنني فإن الله ﷻ سمى أنبياءه، وقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال "تبت يدا أبي لهب وتب"، وأما قولك: جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ﷺ، يقول: إذا أردت أن تنتظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال [هشام] له: عطني. قال: إني سمعت أمير المؤمنين، ﷺ، يقول: إن في جهنم حيات كالقلال، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وخرج".

كما اشتهر ابنه عبد الله، وكان له، أيضاً، موقف جريء في مواجهة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، إذ روي عنه "أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاووس ومالك بن أنس رحمهما الله، فلما دخلا عليه أطرق ساعة، ثم التفت إلى ابن طاووس، وقال له حدثني عن أبيك. فقال: حدثني أبي أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه، فأدخل عليه الجور في حكمه. فأمسك أبو جعفر [المنصور] ساعة. قال مالك: فضمت ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه. ثم قال المنصور: ناولني تلك الدواة، ثلاث مرات، فلم يفعل. فقال له: لم لا تتاولني؟ فقال: أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها. فلما سمع ذلك قال: قوما عني. قال: ذلك ما كنا نبغي. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم" (١٠٠).

ومن التابعين من الأبناء أبو الأشعث شراحيل بن كليب بن أدة الصنعاني، نزل دمشق وتوفي فيها (١٠١).

ومن أعلامهم، أيضاً، المغيرة بن حكيم، وهو من رجال الحديث، ومن الطبقة الثانية عند خليفة، وقد توفي بعد سنة مئة للهجرة/٧١٨م (١٠٢).

وعبد الرحمن ابن البيلماني، وكان ينزل نجران "وقيل إنه أشعر شعراء اليمن في عصره، وإنه وفد على الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فقربه، وأجزل له الحباء، وتوفي في ولايته" (١٠٣).

ويوسف بن ماهك، محدث (توفي سنة ١١٣هـ/٧٣١م) (١٠٤).

وأبو سعيد عبدالله بن كثير، أحد القراء السبعة، وكان قاضي الجماعة بمكة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، وتوفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م (١٠٥).

وصدقة بن يسار الجزري، كان راوياً للحديث من أهل الجزيرة وسكن مكة، وتوفي في أول خلافة بني العباس (١٠٦).

وليث بن أبي سليم أنس، كان مولده في الكوفة، وكان "معلماً ومن رجال الحديث" وتوفي سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م (١٠٧).

## أبناء الفرس المسلمون في اليمن ..... عصام سخيني

والمتنى بن الصباح اليماني الأبنواوي، من رجال الحديث، وتوفي سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م<sup>(١٠٨)</sup>.

ويوسف بن إبراهيم بن سعيد بن داوويه، وكان على قضاء صنعاء، وتوفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م<sup>(١٠٩)</sup>.

وشعيب بن حرب، وكان محدثاً من أهل بغداد، وتحول إلى المدائن، ونزل فيها، وقد وصف بأنه "ثقة مأمون"، وتوفي بمكة سنة ١٩٦هـ/٨١١م<sup>(١١٠)</sup>.

وهشام بن يوسف قاضي صنعاء (توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م)<sup>(١١١)</sup>.  
وأبو كامل المظفر بن مدرك، بغدادي، وكان "ثقة صاحب حديث"، وتوفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م<sup>(١١٢)</sup>.

وحجاج بن إبراهيم الأزرق، محدث بغدادي، سكن مصر وطرسوس، وتوفي في ثغر المصيصة بعد ٢١٣هـ/٨٢٨م<sup>(١١٣)</sup>.

ونعيم بن الهيصم أبو محمد الهروي، بغدادي، وصف بأنه "ثقة وصدوق"، وتوفي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م<sup>(١١٤)</sup>.

والحسن بن عبد الأعلى بن إبراهيم الأبنواوي اليماني البوسي الصنعاني، وتوفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م<sup>(١١٥)</sup>.

كما اشتهرت أسرة من الأبناء برواية الحديث، أولهم أبو محمد عبد الأعلى بن محمد ابن الحسن الأبنواوي، من أهل صنعاء، وتلاه ابنه: أبو بكر محمد، وأبو عبد الله الحسين<sup>(١١٦)</sup>.

ومن الأبناء الذين كان لهم ظهور ملحوظ في الحضارة العربية – الإسلامية آل منبه، وهم خمسة أخوة، وأربعة من أبنائهم، وأحد الأحفاد، عرفوا جميعاً بأنهم من الرواة. الأخوة الخمسة هم: همام، ووهب، ومعل، وغيلان، وعمر أبناء منبه، والأبناء هم: عقيل بن معل، ومحمد، وعبد الله، وعبد الرحمن أبناء وهب<sup>(١١٧)</sup>، والأشهر من بينهم كان وهب بن منبه، المؤرخ وصاحب الأخبار والقصص، وقد عرف في زمنه بكتابه "ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم" وكان

يعد في التابعين وتوفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م<sup>(١١٨)</sup>. كما اشتهر أخوه همام بن منبه بالصحيفة التي كتبها عن أبي هريرة، وشملت نحواً من مئة وأربعين حديثاً، وكان يغزو ويشترى الكتب لأخيه وهب، وتوفي سنة ١٣١ أو ١٣٢هـ/٧٥٠م<sup>(١١٩)</sup>. كما ظهر من الأسرة في مرحلة لاحقة إسماعيل بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن معقل بن منبه الذي توفي في اليمن سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م<sup>(١٢٠)</sup>.

### الخاتمة :

إن التدقيق عن عرّفهم المصادر العربية القديمة (كتب التراجم، والطبقات، والتاريخ الإسلامي العام) بأي من التعبيرات التالية: الأبناء، أو من الأبناء، أو بنوي، أو أبناوي يهدي الباحث إلى عدد كبير من الأعلام، منهم ممن عاشوا في القرون الهجرية الثلاثة الأولى. غير أنه بدءاً من القرن الرابع الهجري لا يجد الباحث، إلا في حالات استثنائية نادرة، ما يدل على هذه النسبة، والمثل على هذا الاستثناء أسرة المغربي التي ذكرت أعلاه. ولا نريد من هذا القفز إلى نتيجة نراها خاطئة بأن نسل الأبناء قد أصابهم العقم الثقافي، فلم يظهر منهم من تميز بأي من مجالات العلم أو الثقافة، ولفت أنظار أصحاب المصادر القديمة فأفردوا له ذكراً. بل نرى أن تفسير هذه الظاهر يقوم على فهم آلية الاستيعاب والتمثل التي كانت من أكثر خصائص الحضارة العربية – الإسلامية دلالة عليها.

ففي حال الاستيعاب الإثني كانت هذه الآلية تعمل على دمج الأقوام المختلفة التي تنتمي إلى تلك الحضارة في نسيج اجتماعي وثقافي واحد، وتصبغ الجميع، خاصة في الفضاء العربي من هذه الحضارة، بصبغة عربية – إسلامية جديدة، وربما يجوز القول بأنها تمنحهم هوية جديدة تحل محل انتماءاتهم العرقية والثقافية القديمة، وتقطع صلتهم بها نهائياً لتصير هذه مجرد أطيايف من الماضي الذي لن يعود.

ونرى أن هذه الآلية في الفضاء العربي خاصة كانت تشغل – لكي تتحقق غاياتها القصوى في الاستيعاب والدمج - على قاعدتين متكاملتين: إحداها أن تتقبل الأقوام المختلفة التي تعيش في هذا الفضاء، أصيلة فيه أو قادمة إليه من الخارج، ثقافته

بالمعنى العام لهذا المصطلح بما فيه اللغة والمعتقدات، والأخرى أن تلتزم بالانتماء إليه من حيث هو واقع جغرافي/ سكاني، وتتخلى عن انتماءاتها الجغرافية القديمة، إن كانت قادمة إليه من الخارج. وفي هذه الحالة تفقد الإشارة إلى الأصل قيمتها، ويصبح التذكير به، وتذكره، أيضاً، نافلة من القول لا ضرورة له.

وهذا ما كان عليه وضع الأبناء. فأجيالهم الأولى تقبلت ثقافة الفضاء العربي عندما اتخذت من اللغة العربية وسيلة تخاطب، واتصال إنساني، وأداة للتعبير الثقافي. وليس هناك أي دليل يشير إلى أن الأجيال اللاحقة كانت تستخدم اللغة الفارسية، لغة أسلافها الأولين، بل كانت العربية هي الوحيدة المستخدمة لديها. وإلى ذلك فإن إسلام الأبناء الأوائل، ونسلهم من بعدهم بالتأكيد، عزز بشكل جذري انتماءهم لثقافة هذا الفضاء، فغدوا جزءاً من نسيجها، ومكوناً من مكوناتها البشرية. ومن جانب آخر، أدى الانتماء إلى الجغرافيا العربية (الانتماء المكاني) دوراً مكماً لدور الانتماء الثقافي، ولا يقل عنه أهمية، في اندماج الأبناء في بنية المجتمع الذي أقامته الحضارة العربية- الإسلامية واكتسابهم هويته. فقد قطع الأبناء، ومنذ أجيالهم الأولى، أي صلة لهم بمواطنهم الفارسية القديمة، واتخذوا اليمن أولاً موطناً ودياراً لهم (تديروها)، ثم بانتشار بعضهم في أرجاء الفضاء العربي أصبح انتماءهم الجغرافي إلى حيث يقيمون. لذلك ليس غريباً أن تلحق بأسماء عدد منهم نسبة تدل على هذا الانتماء المكاني، فنقرأ الأسماء التالية، كأمثلة على ذلك، منسوبة إلى مكان عربي، إقليمياً أكان، أم مدينة، أم بلدة: الوزير المغربي، وطاووس اليماني، وصدقة بن يسار الجزري، والحسن بن عبد الأعلى البوسي الصنعاني، والمثنى بن الصباح اليماني .

إن هذا العرض يفسر الغياب الذي أشرنا إليه لأسماء أعلام بعد القرن الثالث الهجري يعرفون بأنهم من الأبناء (إلا باستثناءات نادرة). فقد استكملت عملية اندماج الأبناء في نسيج المجتمع الذي انتموا إليه، اجتماعياً وثقافياً، وانتفت الحاجة إلى التذكير بأصولهم العرقية، إذ كانوا قد استعربوا تملماً (لغة، ومعتقدات، وانتماء، وجغرافياً)، وانقطعت صلتهم بجذورهم الثقافية والمكانية السابقة على عملية الاستعراب هذه.

### المصادر والمراجع :

- (١) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد؛ الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م، عن طبعة بتحقيق كارلوس يوهانس تورنبرغ، بريل ١٨٦٧م.
- (٢) ابن الأثير؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة. النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى: [www. alwaraq. Com](http://www.alwaraq.Com)
- (٣) الأصبهاني، أبو الفرج؛ الأغاني. دمشق: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د.ت.
- (٤) الأصفهاني، حمزة بن حسن؛ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.، باعتماد طبعة مطبعة كاوياني في برلين، بتحقيق جوتوالد.
- (٥) الأندلسي، ابن سعيد؛ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب. تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢م.
- (٦) البلاذري، أبو الحسن؛ فتوح البلدان. بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٣م.
- (٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر؛ البيان والتبيين. تحقق فوزي عطوي، بيروت: دار صعب، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٦٨م.
- (٨) الجعدي، عمر بن علي بن سمرة؛ طبقات فقهاء اليمن. تحقيق فؤاد سيد، بيروت: دار القلم، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٥٧م.
- (٩) الحديثي، نزار عبد اللطيف؛ أهل اليمن في صدر الإسلام: دورهم واستقرارهم في الأمصار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.
- (١٠) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي؛ تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- (١١) ابن خلدون، عبد الرحمن؛ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٦م.
- (١٢) ابن خلدون، عبد الرحمن؛ المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- (١٣) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٧٢م.

- (١٤) خليفة بن خياط شباب العصفري؛ كتاب الطبقات. الطبعة الثانية، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.
- (١٥) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ مفاتيح العلوم. تقديم جودت فخر الدين، بيروت: دار المناهل، ١٩٩١م.
- (١٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.
- (١٧) الذهبي؛ تاريخ الإسلام. النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى WWW.alwaraq.Com
- (١٨) زامبور، إدوارد؛ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي. أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٨م.
- (١٩) الزركلي، خير الدين؛ الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط. ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
- (٢٠) ابن سعد؛ الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، د.ت.
- (٢١) السمعاني، عبد الكريم بن محمد؛ الأنساب. تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨م.
- (٢٢) السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دمشق وبيروت: مؤسسة علوم القرآن، وجدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، د.ت.
- (٢٣) الشيال، جمال الدين؛ مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة. ط. ٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م.
- (٢٤) الطبري، محمد بن جرير؛ تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك. دمشق: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

- (٢٥) العسقلاني، ابن حجر؛ الإصابة في معرفة الصحابة. النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى [www.alwaraq.com](http://www.alwaraq.com)
- (٢٦) العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر؛ تهذيب التهذيب. بيروت: دار صادر، د.ت، عن الطبعة الأولى لدائرة المعارف النظامية، حيدر آباد بالدكن، ١٣٢٦هـ.
- (٢٧) ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف. النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى [www.alwaraq.Com](http://www.alwaraq.Com)
- (٢٨) كوبيشانوف، يوري يخايلوفتش؛ الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية (من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع). نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، عمان منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م.
- (٢٩) المدعج، عبد المحسن مدعج؛ "الأبناء منذ دخولهم اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري: دراسة لأوضاعهم السياسية والاقتصادية". مجلة دراسات تاريخية، السنة الحادية عشرة، العددان ٣٧-٣٨ (دمشق، أيلول - كانون الأول ١٩٩٠م).
- (٣٠) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.
- (٣١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي؛ التنبيه والإشراف. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م.
- (٣٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. ٥، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م.
- (٣٣) مصطفى، شاكراً؛ التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام. ط. ٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
- (٣٤) مصطفى، شاكراً؛ موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.



- (٣٥) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم؛ لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.
- (٣٦) الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب؛ صفة جزيرة العرب. الطبعة الثالثة، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث، وبيروت: دار الآداب، ١٩٨٣م.
- (٣٧) وهب بن منبه؛ كتاب التيجان في ملوك حمير، رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه. صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ.
- (٣٨) ياقوت بن عبد الله الحموي؛ معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
- (٣٩) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب؛ تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

### الهوامش:

- (١) عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٧٦. ونكتفي بهذا التعريف لأغراض هذا البحث، وقد توسع باحث حديث في تتبع أصل الكلمة وسبب إطلاق هذا الاسم على هذه الفئة من الناس، واستخلص أن لفظة الأبناء عرفت فقط مع بدايات الإسلام، منذ عهد النبي (ﷺ)، لتشير إلى أبناء الجنود الفرس الذي قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن، انظر: عبد المحسن مدعج المدعج، "الأبناء منذ دخولهم اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري: دراسة لأوضاعهم السياسية والاقتصادية"، مجلة دراسات تاريخية، السنة الحادية عشرة، العدد ٣٧-٣٨ (دمشق، أيلول - كانون الأول ١٩٩٠م)، ص ٢٠-٢٢.
- (٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تقديم جودت فخر الدين (بيروت: دار المناهل، ١٩٩١م)، ص ١١٦.
- (٣) انظر في هذا: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك (دمشق: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، م ١، ص ٧٨-٣٨٠؛ أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر،

١٩٨٠م)، م ١، ص ١٩٩-٢٠٠؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طه (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م)، ج ٢، ص ٧٧-٧٨.

(٤) قتل أصحاب الأخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) إذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨).

(٥) كانت الحبشة تعرف بمملكة أكسوم Axum.

(٦) تجمع مصادرنا (انظر في ذلك المصادر المذكورة في الحاشية ٣ أعلاه) على أن يوستين

هو الذي طلب من ملك الحبشة أن يغزو اليمن ويقضي على ذي نواس. انظر بالإضافة إلى هذه المصادر: وهب بن منبه، **كتاب التيجان في ملوك حمير** (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ)، ص ٣١٢، إذ جاء فيها: "كتب ملك الحبشة إلى قيصر يعلمه بما فعل ذو نواس ويستأذنه في التوجه إلى اليمن. فكتب إليه يأمره بالمسير إليها". كذلك لا تدع المصادر الغربية شكاً في أن يوستين هو الذي طلب من ملك الحبشة

غزو اليمن، انظر في ذلك: History of Ethiopia, in Wikipedia; The Free Encyclopedia.

(٧) تختلف الصورة التي تقدمها المراجع الحديثة استناداً إلى النقوش اليمنية والحبشية بالإضافة

إلى المصادر الأساسية المكتوبة في زمن هذه التطورات أو قريبة منها عن تلك التي أوردتها المصادر العربية القديمة عنها. وباختصار، تبدأ هذه التطورات في عام ٥١٧م عندما استولى ذو نواس على عرش حمير، وتسمى بيوسف، وجعل من اليهودية الديانة الرسمية لحمير. وخلال أقل من سنة من حكمه أظهر سياسة معادية للنصارى في اليمن الذين استنجدوا بالحبشة (أكسوم) لإنقاذهم مما لحق بهم وبمصالحهم التجارية من أذى. وقد قاد ملك أكسوم حملة على اليمن في العام نفسه (٥١٧م) تكلفت بالنصر على ذي نواس الذي التجأ إلى الجبال هرباً من الأحباش. غير أن الجيش الحبشي لم يمكث طويلاً في اليمن بل غادرها مخلفاً وراءه حامية حبشية صغيرة في ظفار (قرب صنعاء) عاصمة الحميريين. وقد استغل ذو نواس هذا الواقع فعاد من جديد فحشد حشوداً كبيرة من يهود اليمن ومن الحميريين، وتمكن بها من السيطرة على اليمن، وقام بتلك المذابح الكبيرة بحق النصارى التي تحدثت عنها، أيضاً، المصادر العربية القديمة. وكانت ردة الفعل على هذه المذابح واسعة النطاق في العالم المسيحي الشرقي: في بيزنطة، وبلاد

الشام، ومصر، والحبشة نفسها، وحملة معنوية دينية مركزة على ذي نواس. لكن نتائج الحملة ظهرت بعد نحو من سبع سنين من خلال تحالف قام بين بيزنطة ومملكة أكسوم لغزو اليمن من جديد والقضاء على ذي نواس. وتظهر وثائق تلك الفترة أن بيزنطة وضعت في تصرف الحبشة أسطولاً من السفن تساعد في الغزو. وقاد ملك أكسوم (إلا أصبحه والذي يعرف كذلك بكالب) سنة ٥٢٥م الحملة على اليمن التي شنت جيش ذي نواس، وانتهت بمقتله هو نفسه. وعين إلا أصبحه ملكاً على حمير ابن عم لذي نواس هو سميعع أشوع الذي كان في وقت سابق قد انشق عن الملك الحميري والتجأ إلى الحبشة، حيث تحول هناك من الديانة اليهودية إلى النصرانية. وإلى جانب هذا الملك المعين والذي أعلن تبعية المطلقة للحبشة عين ملك أكسوم مجلساً استشارياً من الأقباش كانت سلطاته أقوى من سلطات سميعع أشوع، الذي أظهر ضعفاً وتخاذلاً أدى في النهاية إلى قيام انقلاب ضده بقيادة أبرهة المشهور، أيضاً، في المصادر العربية القديمة، وهو كان قبل من رجال الغزو الحبشي لليمن الذي أعلن نفسه ملكاً على اليمن. للتفاصيل انظر: يوري بخايلوفتش كوبيشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م)، ص ٣٣-٩١.

(٨) انظر: الطبري، م ١، ص ٣٧٨؛ ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ١٦٠.

(٩) الطبري، م ١، ص ٢٨٧، اليعقوبي، م ١، ص ٢٠٠؛ حمزة بن حسن الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، باعتماد طبعة مطبعة كاوياني في برلين، بتحقيق جوتوالد)، ص ٥٢؛ عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق كارلوس جوهانس تورنبرغ (بريل، ١٨٦٧م، طبعة مصورة: بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م)، م ١، ص ٤٤٧-٤٤٨.

(١٠) المسعودي، ج ٢، ص ٨٠.

(١١) انظر هذا العدد لدى: الطبري، م ١، ص ٣٨٧؛ حمزة الأصفهاني، ص ٥٢؛ ابن الأثير، م ١، ص ٤٤٨؛ وهب بن منبه، ص ٣١٦.

(١٢) انظر المسعودي، ج ٢، ص ٨٠.

- (١٣) ابن قتيبة الدينوري، المعارف (النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى: www. alwaraq. com)، ص ١٤٤.
- (١٤) المسعودي، ج ٢، ص ٨١.
- (١٥) المدعج، ص ٢٣.
- (١٦) فطن ابن خلدون إلى ما في مبالغات المؤرخين الذين سبقوه في الأرقام "ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر" ووجه نقدا لاذعا لهؤلاء الذين "ضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"، انظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ص ١٣.
- (١٧) انظر: كويشانوف، ص ١٩٠.
- (١٨) الطبري، م ١، ص ٣٨٨؛ ابن الأثير، م ١، ص ٤٤٨.
- (١٩) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ص ٢٤٢؛ حمزة الأصفهاني، ص ١١٦.
- (٢٠) حمزة الأصفهاني، ص ١١٦.
- (٢١) ابن الأثير، م ١، ص ٤٤٨.
- (٢٢) اليعقوبي، م ١، ص ١٧٧.
- (٢٣) المسعودي، التنبيه...، ص ٢٤٢.
- (٢٤) اليعقوبي، م ١، ص ١٧٧.
- (٢٥) ابن الأثير، م ١، ص ٤٤٨.
- (٢٦) الطبري، م ١، ص ٣٨٨؛ ابن الأثير، م ١، ص ٤٥٠؛ اليعقوبي، م ١، ص ٢٠٠.
- (٢٧) المسعودي، مروج...، ج ٢، ص ٨٢.
- (٢٨) حمزة الأصفهاني، ص ١١٤؛ ابن سعيد، م ١، ص ١٦١.
- (٢٩) ابن الأثير، م ١، ص ٤٤٠.
- (٣٠) انظر تفصيلات عن ذلك لدى: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني (دمشق: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د.ت.)، ج ١٦، ص ٧٢-٧٤.
- (٣١) ابن الأثير، م ١، ص ٤٥٠.

(٣٢) المسعودي، مروج...، ج ٢، ص ٨٥؛ شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٧٢م)، م ٦، ص ٣٦.

(٣٣) ابن سعيد، ص ١٦١؛ ابن خلكان، م ٦، ص ٣٦.

(٣٤) المسعودي، مروج....، ج ٢، ص ٨٧؛ الطبري، م ١، ص ٣٩١؛ ابن الأثير، م ١، ص ٤٥١.

(٣٥) حمزة الأصفهاني، ص ١١٦؛ الطبري، م. ص، ص ٣٩١؛ المسعودي، مروج...، ج ٢، ص ٨٧؛ ابن الأثير، م ١، ص ٤٥١، مع اختلاف أسماء الولاة وعددهم.

(٣٦) الطبري، م ١، ص ٤٢٤، ويذكره المسعودي، التنبيه...، ص ٢٤١ باسم باذام.

(٣٧) تذهب معظم مصادرنا إلى أن النبي (ﷺ) وجه هؤلاء الرسل في السنة السادسة للهجرة، انظر في ذلك: الطبري، م ١، ص ٦٣٩-٦٤٥؛ المسعودي، مروج...، ج ٢، ص ٢٩٦؛ ابن الأثير، م ١، ص ٢١٠-٢١٥. وشذ عن ذلك الذهبي فجعل إيفاد هؤلاء الرسل في سنة ٨هـ، انظر: شمس الدين أحمد بن محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م)، مجلد المغازي، ص ٥٠١-٥١٢.

(٣٨) الطبري، م ١، ص ٦٤٥؛ ابن الأثير، م ٢، ص ٢١٣-٢١٥، ومع اختلاف يسير: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي (دمشق وبيروت: مؤسسة علوم القرآن، وجدة: دار القبة للثقافة الإسلامية، د.ت)، القسم الأول، ص ٦٩؛ كما وردت الرواية لدى المسعودي، التنبيه...، ص ٢٤١، مع إضافة اسم فيروز الديلمي للرجلين اللذين بعث بهما باذان إلى النبي في المدينة.

(٣٩) سيرة ابن هشام، ص ٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة (النسخة الإلكترونية المحفوظة لدى [www.alwaraq.com](http://www.alwaraq.com))، ص ١١٣، ابن الأثير، م ٢، ص ٢١٥.

(٤٠) الطبري، م ١، ص ٦٤٥.

(٤١) الطبري، م ٢، ص ٧٩.

(٤٢) وهي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى "ألم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥)".

(٤٣) من مؤشرات هذا الانهيار أنه خلال مدة تسع سنوات، ما بين مقتل كسرى أبرويز سنة ٦٢٨م، عقب هزيمة الفرس أمام هرقل سنة ٦٢٧م، ودخول الفاتحين المسلمين عاصمتهم المدائن سنة ٦٣٧م (١٦هـ) تملك ثمانية ملوك (منهم امرأتان) انتهى معظمهم بالقتل، وكان حكم بعضهم لا يتجاوز أياماً.

(٤٤) الآية ١ : سورة الفتح.

(٤٥) انظر عن هذه الوفود: أبو الحسن البلاذري، كتاب الفتوح (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٣م)، ص ٧٥-٨٢؛ ابن الأثير، م ٢، ص ٢٨٦-٣٠٠.

(٤٦) انظر عن هؤلاء المبعوثين: عمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد (بيروت: دار القلم، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٥٧)، ص ١٥-٢٤.

(٤٧) هكذا ورد الاسم في المرجع، بينما هو في معظم المصادر العربية يرد برسم عيهلة بالياء وهو الأكثر شيوعاً، بينما يرد في مصادر قليلة برسم عيهلة بالباء. انظر عن اختلاف الرسم: خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط. ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص ٥، ص ١١١.

(٤٨) المدعج، ص ٢٨.

(٤٩) الطبري، م ٢، ص ١١٤.

(٥٠) نفسه، م ٢، ص ١١٥.

(٥١) ابن الأثير، م ٢، ص ٣٣٧؛ وانظر كذلك: أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٣م)، ص ١١٠.

(٥٢) انظر الرواية بصيغ مختلفة كما وردت لدى الطبري، م ٢، ص ١١٦-١١٨.

(٥٣) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٦م)، م ٢، ص ٨٤٤.

(٥٤) الطبري، م ٢، ص ١١٦؛ ابن الأثير، م ٢، ص ٣٣٨، ويرد في خبره اسم جشنس بدل جشنيش.

(٥٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، د.ت)، م ٥، ص ٥٣٣. ويرد اسمه في بعض الروايات برسم وبرة بن مخشي، ومخشي بن وبرة، ووهر بن عنيش.

## أبناء الفرس المسلمون في اليمن ..... عصام سخيني

- (٥٦) الطبري، م ٢، ص ١١٦؛ ابن الأثير، م ١، ص ٣٣٨-٣٤١؛ انظر كذلك اليعقوبي، م ٢، ص ١٣٠؛ البلاذري، ص ١١٠. ويذكر ابن خلدون في تاريخه، م ٢، ص ٨٤٥ أن المرأة التي شاركت في الاغتيال لاغتيال الأسود العنسي هي أرملة شهر بن باذان، وكانت ابنة عم فيروز، وقد تزوجها الأسود العنسي بعد أن قتل باذان، وأشارت مصادر أخرى إليها باسم المرزبانة، كما ورد لدى: البلاذري، ص ١١٠.
- (٥٧) ابن الأثير، م ٢، ص ٣٧٦.
- (٥٨) الطبري، م ٢، ص ١٦٢.
- (٥٩) نفسه، الصفحة نفسها.
- (٦٠) ابن الأثير، م ٢، ص ٣٧٦؛ وقارن ابن خلدون، م ٢، ص ٨٦١.
- (٦١) الطبري، م ٢، ص ١٦٣.
- (٦٢) ابن الأثير، م ٢، ص ٣٧٧.
- (٦٣) الطبري، م ٢، ص ١٧١.
- (٦٤) انظر: نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام: دورهم واستقرارهم في الأمصار (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د. ت)، ص ٨٥؛ وعن استثمار الفرس لهذا المعدن، انظر: المدعج، ص ٣٥.
- (٦٥) انظر هذه المناطق التي سكنها الفرس لدى المدعج، ص ٣٥.
- (٦٦) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م)، م ٣، ص ٦٠.
- (٦٧) شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق ١٩٧٢م)، م ٦، ص ٣٦.
- (٦٨) سيرة ابن هشام، القسم الأول، ص ٦٩، وقد وردت الأسماء في المصدر بهذا الرسم مع إغفال اسم ابن التينجان.
- (٦٩) المسعودي، مروج...، ج ٢، ص ٨٢.
- (٧٠) أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، مادة "بني".
- (٧١) انظر، المدعج، ص ٣٤-٣٥.

- (٧٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، الطبعة الثالثة، تحقيق محمد بن علي الأكوخ (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث، وبيروت: دار الآداب، ١٩٨٣م)، ص ٢٣٧.
- (٧٣) نفسه، ص ٢٢١.
- (٧٤) نفسه، ص ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٤.
- (٧٥) الأصبهاني، ج ٦، ص ٧٣.
- (٧٦) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "خضرم".
- (٧٧) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة...**، ص ١٣٤٤.
- (٧٨) الطبري، م ١، ص ٤٢٤.
- (٧٩) انظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة...**، ص ١١٤٨.
- (٨٠) انظر هذا الحلف بين الفرس وهمدان، ووثيقته لدى: الحديثي، ص ٨٧-٩٠.
- (٨١) المزي، م ١٣، ص ١٥٥-١٥٨.
- (٨٢) انظر قائمة شاملة بأسماء ولاية الأمصار في العصر الأموي، حيث لا نرى منهم من هو غير عربي غير خمسة، لدى: شاكر مصطفى، **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ج ١، ص ١٠٥-١٢٢.
- (٨٣) وهذا ما لخصه الجاحظ ببراعة في مقارنته بين الإدارتين الأموية والعباسية بوصفه دولة العباسيين بأنها "أعجمية خراسانية"، بينما كان يرى دولة بني أمية "عربية أعرابية؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، تاريخ المقدمة ١٩٦٨م)، ج ٤، ص ٦٤.
- (٨٤) المدعج، ص ٣٠، ٣٢، ٤٣.
- (٨٥) ابن خلكان، م ٢، ص ١٧٧.
- (٨٦) انظر عنه: شاكر مصطفى، **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٨٣٦؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، م ٤، ص ٢٧٨.



- (٨٧) انظر ترجمته وأخباره لدى: ابن خلكان، م ٢، ص ١٧٢-١٧٧؛ ابن الأثير، م ٩، ص ٣٢١، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٦٢؛ الزركلي، م ٢، ص ٢٤٥؛ شاكر مصطفى، ج ٢، ص ٨٣٦. ومن كتبه ورسائله المعروفة: "السياسة"، و"اختيار شعر أبي تمام"، و"اختيار شعر البحتري"، و"اختيار شعر المتنبي والطعن عليه"، و"مختصر إصلاح المنطق"، و"أدب الخواص"، و"المأثور في ملح الخدور"، و"الإيناس"، و"ديوان شعر ونثر".
- (٨٨) كان البساسيري قائدا تركيا من ممالك بني بويه، وخدم القائم بالله العباسي، فقلده سائر أموره، وعظم أمره، ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر الفاطمي سنة ٤٥٠هـ، وقد استتجد القائم بعسكر لسلطان السجوقي طغرل بك، فقصوا على فتنة البساسيري سنة ٤٥١هـ وقتلوه.
- (٨٩) انظر ترجمته وأخباره لدى: الزركلي، م ٦، ص ٧٢؛ شاكر مصطفى، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩١؛ إدوارد زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود (القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٨م)، ص ٢١؛ جمال الدين الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية: المجلد الأول وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥)، ص ٦٥.
- (٩٠) ابن حجر العسقلاني، الإصابة...، ص ١٢١٠.
- (٩١) الجعدي، ص ٤٩.
- (٩٢) ابن الأثير، م ٣، ص ٤٩٦.
- (٩٣) ابن سعد، م ٥، ص ٥٣٣، ٥٤٤.
- (٩٤) جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م)، م ١٣، ص ٢٧٦.
- (٩٥) خليفة بن خياط شباب العصفري، كتاب الطبقات، الطبعة الثانية، تحقيق أكرم ضياء العمري (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ص ٢٨٧.
- (٩٦) الجعدي، ص ٥٧-٥٨.
- (٩٧) ترجمته لدى: المزي، م ١٣، ص ٢٧٦-٢٧٨.
- (٩٨) الجعدي، ص ٥٨-٥٩.
- (٩٩) انظر ترجمته لدى ابن خلكان، م ٢، ص ٥٠٩-٥١١؛ كذلك ابن سعد، م ٥، ص ٥٣٧-٥٤٢.

- (١٠٠) ابن خلكان، م٢، ص ٥١١.
- (١٠١) الجعدي، ص ٦١.
- (١٠٢) خليفة بن خياط، ص ٢٨٧.
- (١٠٣) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (بيروت: دار صادر، د.ت، عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، ١٣٢٦هـ)، م٦، ص ١٤٩-١٥٠.
- (١٠٤) خليفة بن خياط، ص ٢٨١.
- (١٠٥) ابن خلكان، م٣، ص ٤١.
- (١٠٦) ترجمته لدى: المزي، م١٣، ص ١٥٥-١٥٨.
- (١٠٧) السمعاني، الأنساب، م١، ص ٧٦.
- (١٠٨) ابن حجر العسقلاني، تهذيب ....، م١٠، ص ٣٥-٣٧. (النسخة الألكترونية المحفوظة لدى [www.alwaraq.Com](http://www.alwaraq.Com)، ص ١٥٤٣).
- (١٠٩) ابن سعد، م٥، ص ٥٤٧.
- (١١٠) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، م٩، ص ٢٣٩-٢٤٢.
- (١١١) خليفة بن خياط، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- (١١٢) الخطيب البغدادي، م١٣، ص ١٢٦.
- (١١٣) نفسه، م٨، ص ٢٣٩-٢٤٠.
- (١١٤) نفسه، م١٣، ص ٣٠٥-٣٠٦.
- (١١٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (النسخة الألكترونية المحفوظة لدى [www.alwaraq.Com](http://www.alwaraq.Com) ص ٢١٩١).
- (١١٦) السمعاني، م١، ص ٧٧.
- (١١٧) انظر أسماءهم لدى: خليفة بن خياط، ص ٢٨٧.
- (١١٨) ترجمته وأخباره لدى ابن خلكان، م٢، ص ٣٥.
- (١١٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، م١١، ص ٦٧.
- (١٢٠) ابن سعد، م٥، ص ٥٤٨؛ انظر أيضا: شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ج١، ص ١٣٨.